

- خطر غياب الوعي السياسي لما يجري في سوريا
- العلماء وثورات الأمة بين العمل لإقامة الخلافة
- الواجب وتركيع الأمة للغرب الكافر وعملائه
- الطائفية والتضليل السياسي
- مدخلات العمل السياسي الصحيح ومُخرجائه

المستقبل للإسلام حتماً

والأمة ستجرف كل الأذعياى

صفحة

- ٣ المستقبل للإسلام حتماً، والأمة ستجرف كل الأعداء
- ٦ الطائفية والتضليل السياسي
بقلم: حمد طيب - بيت المقدس
- ١٦ خطر غياب الوعي السياسي لما يجري في سوريا
بقلم: أبو بكر - سوريا
- العلماء وثورات الأمة بين العمل لإقامة الخلافة الواجب، وتركيع الأمة للغرب الكافر
وعملائه
- ٢١ بقلم: مصطفى هاشم زايد، عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير في ولاية مصر
- ٢٧ مُدخلات العمل السياسي الصحيح ومُخرجاته
- ٣١ والعاقبة للمتقين: الحلقة ٣- جائزة الإيمان والتقوى
بقلم: حمد طيب - بيت المقدس
- رداً على شطحات الريسوني: الخلافة من الضروريات لحفظ الشريعة ومقاصدها
ربط المقاصد بالوسائل أو الفكرة بالطريقة عند الشاطبي (٤)
- ٣٧ بقلم: محمود عبد الكريم حسن
- ٤٢ أخبار المسلمين في العالم
- ٤٦ مع القرآن الكريم
- ٤٨ رياض الجنة
- ٤٩ بَعْدَ الْخِلَافَةِ لَا عَدْلَ وَلَا قِيَمَ (قصيدة)
بقلم: أبو خليل حسن
- ٥١ ما سر سياسات ألمانيا المنفتحة تجاه اللاجئين السوريين؟
- ٥٢ ملامح اتفاق دولي حول سوريا

إلى السادة الكتاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في "الوعي" دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل "الوعي" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- ل "الوعي" حق تصحيح المواضيع المرسله، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخرجها.

للمراسلات subjects@al-waie.org

كلمة الوعي (صفحة ٣)

المستقبل للإسلام حتماً،

والأمة ستجرف كل

الأعداء

جامعية - فكرية - ثقافية

الوعي

al-waie.org

مجلة الوعي تصدر كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان بترخيص رقم "١٦٦" صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٩

ثمن النسخة	لبنان: ١٠٠٠ ل.د.	اليمن: ٣٠٠ ريال	تركيا: ١\$ أميري	باكستان: ١\$ أميري
أستراليا: ٢,٥\$	أمريكا: ٢,٥\$	كندا: ٢,٥\$	ألمانيا: ٢,٥ يورو	السويد: ١٥ كرون
بلجيكا: ١ يورو	بريطانيا: ١£	سويسرا: ٢ فرنك	النمسا: ١ يورو	الدانمرك: ١٥ كرون

المستقبل للإسلام حتماً، والأمة ستجرف كل الأدياء

تتمثل قوة الإسلام أساساً بفكرته الشمولية الصلبة التي تقدم تصورات واضحة وعميقة للإنسان عن معنى وجوده في الحياة، وكذلك فيما تضعه من معالجات لشؤونه من خلال منظومة متكاملة من الأحكام الشرعية التي تنظم علاقات الإنسان على نحو يشبع - عند تطبيقها- احتياجاته مادياً ومعنوياً.

وقد ظلت الفكرة الإسلامية متجذرة في نفوس جموع المسلمين، رغم كل ما عصف بهم من حملات فكرية ألحقت بفهمهم للفكرة الإسلامية بعض الشوائب جراء محاولات البعض خلط أفكار بعض الثقافات الأخرى بالإسلام، على نحو ما جرى قديماً من عملية دمج مملوكة لبعض أفكار الفلسفة اليونانية والهندية والفارسية بالتصورات الإسلامية، وما جرى حديثاً من محاولات توفيق مشبوكة بين الإسلام من جهة وبين أفكار اشتراكية ورأسمالية وديمقراطية من جهة أخرى.

إضافة إلى قوة العقيدة الإسلامية بقي الشوق إلى التاريخ المشرق الذي تحقق بسبب تطبيق الإسلام مصدر إلهام وتبجيل المسلمين، لا سيما وهم يقارنون ذلك -بكثير من الحسرة- مع واقعهم المؤلم بعد إقصاء الإسلام عن حياتهم، ما جعل المسلمين يتخذون من قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمن ابتغى العزة بغيره أذله الله» نبراساً كأفضل تعبير لهم عن المشكلة والحل، فوجد توجه عام عند المسلمين حول ضرورة العودة إلى تطبيق الإسلام، وتصاعدت الدعوة مع كل أزمة جديدة ومع كل انكسار جديد إلى إعادة الإسلام حاكماً، طلباً لرضى الله سبحانه، وإدراكاً منهم بأن إقامته في واقعهم هو الملاذ الآمن لهم وللأجيال القادمة من المسلمين.

في هذا السياق، بات استئناف الحياة الإسلامية وتمكين الدين وإقامة دولة الخلافة غاية وهدفاً معلناً لكثير من الحركات الإسلامية، التي غلب على جلها كثير من الحماسة مع قليل من الوعي وكثير من ردود الفعل بلا تدقيق كاف في الواقع وفي الطريقة التي من شأنها تغيير الأوضاع القائمة.

لكن تحقيق تلك الغاية واجه تحديات مهولة تتمثل بهيمنة الغرب المطبقة على بلاد المسلمين من خلال أنظمة أمنية تفرض أجندات الغرب، وتحرص كل الحرص على أن تشمل إرادة الأمة وتبقي مقدراتها وثرواتها رهينة سياسات الغرب ومصالحه.

كما اعتمد الغرب سياسات خبيثة لإفساد الرأي العام المؤيد للعودة إلى الإسلام وتحكيمة من جهة، ولضرب الوعي المتزايد حول أهمية الخلافة وما تمثل من قيمة، بأكثر من وسيلة

وأسلوب. فاستثمر الغرب في هذه البيئة لتوجيه الطاقات المكنونة فيها لما يحقق مصالحه ويجرفها بعيداً عن تحقيق التغيير المطلوب بالطريقة المطلوبة.

فجاءت تصفية حسابات الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتي في أفغانستان بدماء المسلمين وأموالهم تحت راية الجهاد الأفغاني لضرب الشيوعية ضمن زخم إعلامي عالمي هائل، حيث هبَّ المسلمون من كل حذب وصوب نصره لهذه القضية، لا سيما من مصر والأردن ودول الخليج، مع أن فلسطين كانت على مرمى حجر منهم. ثم تحول هؤلاء إلى ذريعة تستعملها أميركا لإعادة صياغة النظام الدولي. فتم صرف جهود وتضحيات جيل كامل من المسلمين بين «حليف استراتيجي» للغرب تحت عنوان الحرب على الشيوعية، وعدو لدود له تحت عنوان «الحرب على الإرهاب».

في الوقت ذاته رتبت أميركا ثورة ذات طابع ديني في إيران للوقوف بوجه الشيوعية من جهة، ولخداع المسلمين بها من جهة أخرى، فخاضت حرباً طاحنة على مدار ثماني سنوات مع العراق معلنة أن طريق القدس يمر فوق جثة نظام البعث في بغداد، فيما كانت إيران حليفاً استراتيجياً وما زالت لنظام البعث في دمشق، ثم دخل النظام الإيراني في دورة شعارات ممانعة ومقاومة قوى الاستكبار ونصرة المستضعفين في الأرض، ما خدع كثيرين بالفعل، لينتهي به المطاف نصيراً لطاغية الشام ضد شعب مظلوم مسحوق، وقيامه بتسليم كافة ملفات الطاقة النووية للغرب، آملاً بأن يصبح عضواً في التحالف الدولي الذي تقوده أميركا في الحرب المزعومة ضد الإرهاب. كما دفع الغرب تياراً عريضاً من الحركة الإسلامية ليتخلى عن آمال الأمة وتطلعاتها بالوحدة والخلافة وتحكيم الشريعة بذريعة الاعتدال وتجديد الخطاب الديني وفقه الواقع والدولة المدنية الحديثة، فتسلم الحكم في تركيا والمغرب وتونس ومصر والسودان بشعارات إسلامية تداعب مشاعر الجماهير وتنفس طاقاتهم فيما هي تطبق أجندات علمانية رأسمالية وطنية وقومية، ترسخ الواقع الكارثي القائم.

وأخيراً وليس آخراً، فقد تم الإعلان عن إقامة خلافة تنظيم الدولة في العراق والشام، وهي خلافة أبعد ما تكون عن تطلعات الأمة اليتيمة، التي تنتظر يداً حانية عليها تخرجها من قاع الذل والقهر والكفر، وتضعها على طريق الخلاص، إلا أن خلافة هذا التنظيم زادت الأمة بؤساً وتفريقاً ونشيداً وتقتيلاً، ما يضع ألف علامة استفهام أمام حقيقة صعود هذا التنظيم وممارساته وصولاً إلى إعلانه الخلافة، لا سيما أن التحقيقات الرسمية الجارية في العراق بخصوص استيلاء هذا التنظيم على كبريات مدن العراق في الشمال وحيازته كميات هائلة من

المستقبل للإسلام حتماً، والأمة ستجرف كل الأعداء

المركبات والأسلحة والعتاد كشفت بأنها جاءت جراء صدور أوامر مباشرة من رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي لكبار القيادات العسكرية بالانسحاب من الموصل ومناطق الشمال.

هكذا يغدو واضحاً بأن الغرب ساهم بشكل مباشر ومؤثر في خلق دوامة العنف والفوضى، فعبث بالأمة واستنزفها في تحقيق مصالحه، وحاول جاهداً أن يشككها بدينها ويجدوى تطلعاتها ليحبط آمالها باستعادة الإسلام وليوهمها بأن دينها هو سبب بلائها.

إلا أن المدقق في مسيرة الأمة ومسارها يجد أنها سرعان ما تنهض من كبواتها، وأنها كلما انتكست تعود لتقف على قدميها من جديد مع ظهور أدنى بارقة أمل، فتتفاعل معها كأن لم يمسهها سوء. كما أن الباطل زهوق بطبعه، ومها طغى بظلمه ودجله وتضليله فإنه لا يكاد يترك أثراً مع الخير الكبير الذي يملأ الأمة. بل إن ما يجري من أحداث، وما يصيب الأمة من آلام، يعيد صياغتها من جديد، فيجذر فيها الوعي ويصلب فيها الإرادة ويؤهلها للعب دورها المنوط بها في الحياة كخير أمة أخرجت للناس.

نعم، قد ينجرف البعض في متاهات الضياع، وقد ييأس آخرون ويسلمون للشيطان تحت مسمى أو آخر بذريعة أو أخرى، لكن تفاعل الأمة مع قضاياها يكشف أنها تسير قدماً إلى الأمام، إذ إنها سرعان ما تنفضُ عنمن يظهر عليه الزيف والدجل، وتبدأ بتلمس سبيل النجاة بالإسلام من جديد. وكلما رمى الكفر بشباكه وأوقع الأمة في فخاخه وظن أنها القاضية، تفاجئه الأمة بنبذ مشاريعه والكفر بأنظمته.

وهكذا فإنه رغم مرارة كل التجارب السابقة، ورغم كل الأذى الذي تسببت به، وكل ما أفضت إليه، فإنها تكشف عن معدن الأمة وعن صدق توجهاتها وعن زيادة وعيها، وعن التصاقها أكثر بإسلامها، وأنها ما زالت متأهبة للحاق بمن يقودها بالإسلام حقاً.

فقد أظهرت الأمة أنها وحدة واحدة تتفاعل مع قضاياها كأمة واحدة، وتسير في الاتجاه الذي تتصور أنه يحقق لها تحكيم الإسلام وإقامة دولته الجامعة. كما أدركت الأمة أن حكامها هم سبب بلائها، وأن تغييرهم هو الخطوة الأولى على طريق التغيير الصحيح، حيث لا إصلاح يؤمل ولا نهضة ترجى في ظل وجود هذه الأنظمة، كذلك أدركت الأمة عظم مكر الغرب بها وحقده عليها، وأنه لا رجاء لها به، وأن لا حياة لها إلا بدينها، لنقف أمام حقائق قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴿٢﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم
الطائفية والتضليل السياسي!..

حمد طيب - بيت المقدس

لقد جن جنون الدول الكافرة، وصاروا يرتعدون خوفاً وهلعاً، وهم ينظرون إلى هذه الأمة الكريمة؛ تتمسك بدينها، وتعود إلى أصلاتها ومعدنها الكريم، وتهتف بأعلى صوتها: (نريد خلافة راشدة على منهاج النبوة، نريد حكم الله وشريعته، لا للغرب الكافر وحضارته وفكره وسياساته الإجرامية في بلادنا...) وازداد هذا الخوف والرعب عندما أحسوا بالخطر يحرق بعملاتهم المخلصين لهم بالتبعية عندما رأوهم في تونس ومصر واليمن وليبيا يُخلعون كما يُخلع الثوب النجس النتن عن الجسد الطاهر النظيف!! ..

لقد أحس هؤلاء المجرمون -من رؤوس الكفر- بأن هذه الأمة بدأت تتحرك نحو التحرر والاعتناق؛ وخاصة عندما رأوها قد انتفضت بكل ما أوتيت من قوة على حكامها، وعلى النظم القيصرية الظالمة في بلادها، وعندما رأوا كذلك أن كل الانتخابات التي حصلت في ظل الثورات فاز بها المسلمون بأعلى الأصوات... فأدركوا يقيناً أن نهاية سلطانهم واستعمارهم لبلاد المسلمين؛ (تحكماً ونهباً للخيرات وتسييراً للأمور والسياسات) قد أوشكت على النهاية المحتومة؛ لذلك بدأت بعض الأصوات تظهر في بلاد الغرب تنادي بعدم إعطاء المسلمين حرية الاختيار؛ لأنها - حسب زعمهم - ستؤدي إلى وصول بعض الحركات الإسلامية المتطرفة. يقول المستشرق الأمريكي (وك سميث الخبير بشؤون باكستان): «إذا أعطي المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطية؛ فإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد، وبالذكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها». وقد ذكرت إذاعة الـ (بي بي سي) نقلاً عن مقالة في صحيفة (الفايننشال تايمز) قالت: «إذا كانت أميركا تشجع الاتجاهات الديمقراطية في شرق أوروبا ودول العالم الثالث فإنه يجب عليها ألا تشجع تلك الاتجاهات في العالم الإسلامي؛ لأنها بذلك تدفع، دون أن تدري، بالأصوليين إلى تسلّم زمام السلطة في ذلك العالم...» ويقول الرئيس الأمريكي الأسبق (نيكسون) في كتابه؛ (نصر بلا حرب): «إن رياح التغيير في العالم الثالث تكتسب قوة العاصفة، ونحن لا نستطيع إيقافها، لكننا نستطيع أن نساعد في تغيير اتجاهها، ويقول أيضاً بعد أن تولى جورباتشوف السلطة في روسيا: «يجب على روسيا وأميركا أن تعقدا تعاوناً حاسماً لضرب الأصولية الإسلامية...»

لقد فكّر قادة الغرب في كيفية تضليل المسلمين عن هدفهم الصحيح، ثم فكروا وقدروا وعقدوا المؤتمرات على أعلى المستويات في أوروبا وأميركا، وفي الدول الإقليمية في بلاد المسلمين.

فماذا كانت نتيجة تفكيرهم ومكرهم ودهائهم؟! ماذا قرّر أن يفعل هؤلاء الأکابر من المجرمين الحاقدين الأشرار؟! بماذا خرجت مؤامراتهم ومؤتمراتهم للوقوف في وجه هذا المارد العملاق الذي بدأ يتحرك، وفي وجه صوت الأمة العالی للعودة للأصالة والدين والمطالبة بإقامة الخلافة الراشدة، والتي جعلت منه عنوانها العريض؟!.

إن قراراتهم جميعاً، في محافلهم ونواديهم ومؤسساتهم الدولية والخاصة والإقليمية، كانت تصبُّ في اتجاهٍ واحدٍ هو الحيلولة دون تحقُّق أهداف أمة الإسلام وغاياتها، والوقوف في وجه حركتها بكلِّ قوة وبكافة أساليب المكر والدهاء...

وكان من ضمن هذه القرارات الخبيثة الماكرة لصرف الأمة عن غايتها وهدفها السامي النبيل:

١- تحطيم قوة البلاد الإسلامية؛ عن طريق تدمير المؤسسات العسكرية في كل بلد من بلاد المسلمين؛ إما عن طريق الاقتتال الداخلي، أو عن طريق افتعال أزمات سياسية تكون مقدمة لاتخاذ قرارات بالتدخل العسكري الدولي كما حصل في ليبيا، وكما هو حاصل اليوم في اليمن وفي سوريا...

٢- صرف الأمة عن هدفها الأصيل، وتوجيهه بوصلة سيرها واتجاهها إلى اتجاه آخر؛ هو الديمقراطية والقوانين الغربية والحريات وغير ذلك. جاء في الدراسة الصادرة عن مؤسّسة (راند) والمعنونة بـ(العالم الإسلامي بعد ٩/١١) وقد نشرت في ديسمبر/كانون الأول عام ٢٠٠٤م ما يلي: «إنَّ الحرب من أجل الإسلام سوف تتطلَّب صنع جماعات ليبراليَّة بهدف إنقاذ الإسلام من خاطفيه».

٣- إثارة الفتن بين أبناء المسلمين، وخاصَّة عند أبناء الثورات العسكرية؛ كما هو حاصل في ليبيا هذه الأيام، وفي اليمن، وفي العراق... وإظهار النعرات الطائفية في البلاد الثائرة حتى ينصرف الناس عن الهدف الأصيل إلى أهداف جانبية لا تمت إلى فكر الأمة وتاريخها وحضارتها بشيء؛ فصاروا يضربون على وتر الأقليات العرقية وضرورة فصلها في أقاليم خاصة، وصاروا يغذون هذه العرقية حتى تحدث اقتتالاً بين أبناء المسلمين. وأيضاً صاروا يشجعون علماء السوء من سدنة الحكام ليضربوا على وتر المذهبية، ليحرفوها فتصبح طائفية واقتتالاً وحروباً بين المسلمين، كما حصل في السعودية في منطقة القطيف مثلاً، وكما هو حاصل اليوم في اليمن الممزق وفي العراق الجريح!!...

٤- العمل على تقسيم البلاد الإسلامية؛ مرة جديدة تحدد فيها حدود جديدة؛ لإعادة تقسيم المقسم في (سايكس بيكو) وغيرها من مؤامرات مرت على أمة الإسلام ومزقتها بعد هدم الخلافة...

٥- العمل على نزع الأمن والأمان في بلاد المسلمين، ونشر الرعب والخوف وسفك الدماء، وعلى نشر الفقر والجوع في بلاد المسلمين، وخاصَّة تلك البلاد التي ثارت في وجه الظلم والظالمين؛ حتى تبقى الأمة في دائرة ضيقة من التفكير الغريزي، لا تتعداه إلى التفكير المبدئي لتغيير واقع الظلم في بلادها.

٦- إشغال الأمة في أمور جانبية، ليس لها أي علاقة برفع مستواها وإزالة الظلم من حياتها، بل إنها تزيد الأمة تعباً فوق تعب وعبئاً جديداً فوق أعبائها؛ وذلك بإشغالها بالانتخابات ووضع الدساتير الجديدة تلو الدساتير، وإنشاء مجالس تأسيسية ثم تشريعية للحفاظ على الفساد وعلى الفكر المهترئ كما هو، ولإيجاد الفتن الفكرية بين مختلف الأحزاب في بلاد المسلمين، وصراف النظر عن الهدف الأصيل وعن الظلم والظالمين.

٧- إشغال الأمة بسياسات تضليلية؛ مرة بإعلان خلافة لا واقع لها ولا وجود... ومرة بإنشاء حلف عسكري يتولى الدفاع عن قضايا الأمة، وهو في الحقيقة للدفاع عن مصالح الاستعمار وتنفيذ سياساته، ومرة بإنشاء صندوق للمالي لإنقاذ البلاد والعباد توجهه أميركا ودول أوروبا حيث تشاء...

هذه هي أبرز السياسات الماكرة التي ابتكرها الاستعمار الخبيث المجرم لصرف الأمة عن غايتها وهدفها السامي النبيل نحو الانعتاق والتحرر والعودة للأصالة والجذور والتاريخ المشرق. وسوف نتحدث بالتفصيل عن واحدة من هذه الأمور السبعة في هذا الموضوع، عن الطائفية وأساليب التضليل فيها لصرف الأمة عن غايتها وأهدافها.

وقبل أن نتحدث عن هذه الزاوية نقول: لقد مدح الله عز وجل هذه الأمة الكريمة، بأنها أمة واحدة من دون الناس على وجه الأرض، ولا فرق لعربي على عجمي، ولا لأسود على أبيض، ولا لأبيض على أحمر إلا بالتقوى قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١٢)، وقال عليه الصلاة والسلام في (موادعة المدينة بين المسلمين وغيرهم، وبين المسلمين فيما بينهم): «بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، وإن المؤمنين (المتقين) على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدانهم. وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس...» ذكره ابن هشام في السيرة .

وهذه الميزة- من الوحدة والأخوة وعدم التمييز - لم تحظ بها أمة على وجه الأرض غير أمة الإسلام، فقال الحق تعالى واصفاً اليهود والنصارى من أهل الكتاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩) وقال: ﴿وَمَا نَفَرُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مُرِيبٌ﴾ (١٤) ..

فالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ بِمَفْهُومِ أَحْكَامِ هَذَا الدِّينِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَسْلَمُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ. وَالْمُؤْمِنُونَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ يَجْمَعُهُمُ الْإِيمَانُ، وَيَفَاضِلُ بَيْنَهُمُ التَّقْوَى وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَتَفَرِّقُهُمُ الْمَذَهَبِيَّاتُ الْخَاطِئَةُ، وَالْمَعْتَقَدَاتُ الْبَاطِلَةُ، وَالْمَسْلُكِيَّاتُ الْمَعْوِجَةُ الَّتِي تَفْضِي إِلَى الْخُرُوجِ مِنْ دَائِرَةِ الْمِلَّةِ الْمُسْلِمَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾... وَقَدْ حَذَرَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ مِنَ الْفِرْقَةِ وَالتَّفَرُّقِ وَالاقتتالِ، وَوَصَفَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ الْهَلَاكُ وَالْفِشَلُ وَالْهَزِيمَةُ وَالْكَفْرُ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦١﴾﴾، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَرًا يُضْرَبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَقَالَ: «إِذَا تَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفِيهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَقَدْ أَجَازَ الْإِسْلَامُ الْاِخْتِلَافَ فِي الْفَهْمِ وَالرَّأْيِ، بَحِيثٌ لَا يَصِلُ إِلَى خَلَلٍ فِي الْاِعْتِقَادِ، وَخُرُوجٍ عَلَيْهِ أَوْ خُرُوجٍ عَلَى أَصُولِ الشَّرِيعَةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِعَقِيدَةِ هَذَا الدِّينِ، وَجَعَلَ هَذَا الْاِخْتِلَافَ فِي الْفَهْمِ أَمْرًا صَحِيحًا يَنْسَجِمُ مَعَ أَحْكَامِ هَذَا الدِّينِ فِي الْفَهْمِ وَالتَّفْسِيرِ وَالتَّحْلِيلِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتْرِكْ هَذَا الْأَمْرَ مَفْتُوحًا عَلَى مَصْرَاعِيهِ، وَإِنَّمَا وَضَعَ لَهُ شُرُوطًا وَضَوَابِطَ شَرْعِيَّةَ يَجِبُ التَّقِيدُ بِهَا،

وَمِنْ هَذِهِ الضَّوَابِطِ لِلاِخْتِلَافِ فِي الرَّأْيِ وَتَعَدُّدِ الْفَهْمِ :

- ١- أَنْ لَا يُحَدِّثَ هَذَا الْاِخْتِلَافُ خِلَافًا فِي أَصْلِ الدِّينِ وَالاِعْتِقَادِ؛ كَمَا حَصَلَ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَإِنَّمَا يَبْقَى ضَمْنُ دَائِرَةِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ. فَالاِخْتِلَافُ فِي الرَّأْيِ يَكُونُ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ظَنِّيَّةِ الدَّلَالَةِ، أَيِ الَّتِي يَجُوزُ فِيهَا تَعَدُّدُ الْفَهْمِ، أَوْ فِي فُرُوعِ الْعَقِيدَةِ ظَنِّيَّةِ الدَّلَالَةِ أَيْضًا، أَمَّا قِطْعِي الدَّلَالَةِ؛ سِوَاءِ أَكَانَ فِي الْأَحْكَامِ أَمْ فِي الْعَقِيدَةِ فَلَا يَجُوزُ تَعَدُّدُ الرَّأْيِ فِيهِ.
- ٢- أَنْ يَكُونَ هَذَا الْاِخْتِلَافُ فِي الْفَهْمِ وَالرَّأْيِ مَنْضَبًا بِالنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي تَسْتَنِدُ إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ فَلَا يَجُوزُ تَعَدُّدُ الْفَهْمِ بِالْعَقْلِ، لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا مَجَالَ لَهُ فِي الشَّرْعِ إِلَّا فِي مَوْضُوعِ الْفَهْمِ.. فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ هُمَا فَقَطِ الْمَرْجِعِيَّةُ فِي فَهْمِ هَذَا الدِّينِ، وَهُمَا طَوْقُ النِّجَاةِ لِأَيِّ خَلَلٍ وَهَمَا الدَّائِرَةُ الَّتِي حَفِظَتْ هَذَا الدِّينَ مِنَ التَّخْرِيْبِ وَالتَّحْرِيفِ وَالضَّلَالِ؛ كَمَا حَصَلَ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَتَّخِذَ أَصْلًا مِنَ الْأَصُولِ فِي الْاجْتِهَادِ إِلَّا مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا أَرشَدَ إِلَيْهِ.
- ٣- أَنْ يَكُونَ الْاِخْتِلَافُ فِي الرَّأْيِ الْمُنْبَثِقِ مِنْ هَذِهِ الْأَصُولِ الصَّحِيحَةِ، قَدْ جَرَى عَلَى أُسُسِ سَلِيمَةٍ فِي الْفَهْمِ وَالاِسْتِنْبَاطِ الْفَقْهِيِّ، وَأَنْ لَا يَكُونَ مَخَالَفًا لِلأُسُسِ السَّلِيمَةِ فِي طَرِيقَةِ الْاِسْتِنْبَاطِ الْفَقْهِيِّ؛ فَمِثْلًا إِذَا فَهَمْنَا آيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَرَدْنَا أَنْ نَتَّبِنِي عَلَيْهَا فَهْمًا شَرْعِيًّا، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَهْمٌ مَدْلُولَاتِ الْآيَةِ الْفَقْهِيَّةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى فَهْمِ النَّصِّ اللَّغْوِيِّ لِلآيَةِ وَمَعْنَاهَا كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ

لغة العرب، وأن نستحضر المنقول المتعلق بهذه الآية من آيات أخرى أو أحاديث؛ لأن الآية قد تكون منسوخة، أو قد يكون هناك حديث شريف؛ وشرحها متعلق بمناسبة نزولها، فدلالات اللغة، والنقل هما المستند لفهم النصوص ليس غير.

فهذه الضوابط الصحيحة تُبقي الأمة ضمن دائرة النجاة، وضمن حدود الدين الذي جمعها وميزها عن غيرها من الأمم والشعوب، وإذا خرجت عنها فإنها تضل كما ضلت اليهود والنصارى في تحريفاتهم وعقائدهم الباطلة.

والحقيقة، إنه قد خرج عن طوق النجاة من هذه الأمة (بعضُ منها)، فأصبحوا خارج حدود الدائرة (عقائدياً) لأنهم لم يلتزموا هذا المنهج الصحيح في الاختلاف وتعدد الفهم، ولا يريد أن نذكر أسماءً بعينها في هذا الموضوع، ولكن نذكر بعض الأوصاف لهؤلاء الناس ممن خرجوا من طوق النجاة، وتخطوا الدائرة الحمراء لحدود هذه الأمة الكريمة... فمن قال مثلاً في عقيدته بأن (الرسول ليس خاتم الأنبياء)؛ إنما يأتي بعده نبي آخر، فهذا قد خرج عن الخط الأحمر في الاعتقاد؛ لأنه خالف معلوماً من الدين بالضرورة، ونصاً شرعياً قطعياً في ثبوته وفي دلالاته. ومن قال: (إن علياً إله وليس بشراً)، أو (إن علياً رضى الله عنه رسول من الرسل، وليس صحابياً من الصحابة)، ومن قال من المسلمين بأن (القرآن ناقص وغير مكتمل)، أو قال بأن (يأخذ القرآن فقط، وينكر سنة المصطفى) عليه الصلاة والسلام، أو غير ذلك من أصول الدين... فإنه خارج عن الملة لا يعامل معاملة المسلمين... ومن قال كذلك: (إن الزكاة ليست حكماً من الأحكام كالصلاة والصيام)، أو قال (ان الشريعة ناقصة غير مكتملة وتحتاج إلى أعمال العقل بقواعد جديدة لإكمالها). فهذه وأمثالها تخرج قائلها من دائرة الدين إلى غيره. هذه هي الضوابط والقواعد التي جمعت هذه الأمة، وميزتها عما سواها من الأمم، وهي الأمور التي سارت عليها هذه الأمة سنوات طويلة منذ عهد المصطفى عليه الصلاة والسلام، وظلت وحدة واحدة تتحطم عليها كل مؤامرات الكفار، وكل محاولات هدمها من داخلها وخارجها.

لقد كانت هناك محاولات عديدة في تاريخ هذه الأمة الطويل، لشق صفها وتمزيقها، وإخراجها عن أسباب وحدتها وقوتها وتماسكها... ومن هذه المحاولات على سبيل المثال لا الحصر:

١- فقد حاول اليهود في بدايات الدعوة الأولى مع كفار قريش شق الصف الإسلامي داخل المدينة المنورة بمساعدة المنافقين ممن أظهروا إسلامهم وأبطنوا الكفر والعداء للمسلمين، لكن الله عز وجل أبطل كيدهم وتخطيطهم وتديبرهم، وجعل الدائرة في نهاية المطاف تدور عليهم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ

الْأَبْصَرُ وَيَلْغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾

٢- حاول المرتدون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ممن دخلوا في الإسلام حديثاً أن يشقوا صف المسلمين بخروجهم من الإسلام، لكن أبا بكر رضي الله عنه وقف موقفاً حازماً من هذه القضية الخطيرة، وقال مقالته المشهورة: «والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه». رواه الطبري في تاريخه. وفي عهد الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه حاول قسم من الموالي ممن دخل الإسلام حديثاً أن يحدث فتنة بين المسلمين، فأثر رضي الله عنه حقن دماء المسلمين والحفاظ على وحدة صفهم، ولم يقاتلهم. ٣- واستمرت هذه المحاولات بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، في عهد الإمام علي رضي الله عنه، وازدادت هذه الفتنة عندما خرج الخوارج عن صف المسلمين، وحدث ما حدث من قتال لهذه الطائفة وقتل فيها من قتل من الصحابة. وظلت هذه الفتنة في تاريخ الدولة الإسلامية تظهر أحياناً ثم تخبو بعد ذلك؛ حسب قوة تمسك المسلمين بدينهم وفهمهم لأحكامه، وحسب قوة الآصرة التي تجمعهم تحت ظلها (الدولة الإسلامية)...

٤- ظهرت في تاريخ الدولة العباسية مشكلة الانفصال عن جسم الدولة الأم؛ أي عن الخليفة في بغداد؛ فكان الخليفة، اسماً لا فعلياً، يبسط سلطانه على كثير من المناطق وخاصة في الشام... وفي هذه الفترة ضعفت الدولة وغزاها الصليبيون ثم المغول!! وظلت كذلك حتى توحدت مصر والشام في عهد آل زنكي، وفي عهد المماليك.

٥- برزت مشكلة الصفويين والدولة الصفوية في التاريخ الإسلامي.. وسيطرت على بلاد فارس والعراق في عهد إسماعيل الصفوي ١٥٠١-١٥٢٤م، وحصلت بينهم وبين الدولة العثمانية عدة معارك كان أشهرها معركة جالديران سنة ١٥١٤م، وقد استعانوا أثناء حروبهم ضد العثمانيين بالبرتغال على الدولة العثمانية، ثم استغلوا فترة انشغال الدولة العثمانية في فتوح أوروبا نحو فينًا، مما اضطر العثمانيين للتراجع. وفي حروب البلقان والقرم صارت الدولة الصفوية تعتدي على حدود الدولة العثمانية مما تسبب في ضعفها ومساعدة الأوروبيين والروس على هزيمتها.

٦- في آخر عهد المسلمين بالخلافة؛ أي في نهاية فترة الحكم العثماني عمل الاستعمار على تفتيت جسم الأمة؛ عن طريق بث فكرة القوميات والعرقيات مثل الطورانية التركية والقومية العربية... فكانت مع عوامل أخرى سبباً في هدم الخلافة وتمزيق الأمة الإسلامية!! وبعد هدم الخلافة وذهاب الآصرة التي كانت تجمع الأمة الإسلامية عمت الفرقة بسبب الاستعمار العسكري وتفرقت إلى دول ودويلات، وسادت القوميات والعرقيات في أنحاء جسمها فمزقتها شذر مذر. لكن الملاحظ أن كل هذه الفتن والشُرور ومحاولات التخريب التي حصلت في ظل الدولة

الإسلامية، كان خليفة المسلمين يتصدى لها ويخمد شرورها، فيقضي عليها، وكانت لا تستطيع أن تحدث شرخاً بليغاً في أمة الإسلام، وإن كانت تحدث أثراً وتلحق أذىً بالمسلمين وبجسم الدولة، ولكن قوة الدولة الإسلامية، وحسن تطبيق الإسلام سرعان ما كان يعيد اللحمة لهذه الأمة مرة أخرى، وقد يسر الله لهذه الأمة في فترات الضعف والتردي قادة عظاماً ينقذونها مما كان يعتريها من وهن وضعف؛ كما حصل في فترة عمر بن عبد العزيز، وفترة نور الدين آل زنكي، والظاهر بيبرس وغيرهم ممن رفعوا شأن الأمة، وأعادوا لها قوتها وحسن سيرتها وسيرتها بعد ضعف، أو سوء تطبيق.

أما في هذه الأيام العصبية من تاريخ هذه الأمة الكريمة، فيحاول الاستعمار؛ من الصليبيين والصهاينة والحركات الماسونية هدم ما بناه أبناء الأمة المخلصين من إرجاع الناس إلى دينهم، وإعادة ربطهم بعقيدتهم وأحكام شريعتهم، ويحاولون إبعاد الأمة عن هدفها الصحيح وطريقها المستقيم الهادي نحو تطبيق الإسلام وإعادة الدولة الإسلامية إلى واقع الحياة مرة أخرى. ومن أبرز ما يفعله هؤلاء المجرمون الأشرار؛ من أميركا ومعها الحلف الصليبي الكافر، والصهيونية العالمية والماسونية وغيرها من أحزاب ودول وتجمعات كافرة للحيلولة دون عودة الإسلام، وإبقاء الأمة ممزقة متفرقة ضعيفة:

١- الضرب على وتر المذهبية الفقهية لإبعاد المسلمين عن دينهم، وإبعادهم عن بعضهم البعض كأمة واحدة، واستغلت في هذا الأمر مسألة الخلاف المذهبي السني الشيعي وتحويله إلى صراع طائفي، وقد سخرت في سبيل هذه الغاية الشريرة العملاء من الحكام وأذئابهم من العلماء من كلا الفريقين على السواء، وصار كل فريق يكفر الآخر، ويحرض أتباع مذهبه ضد المذهب الآخر، وصار الحكام المجرمون أمثال المالكي وحكام السعودية وحكام إيران؛ يخذون هذه النظرة حتى وصلت إلى حد الاقتتال المذهبي!.

٢- تسخير بعض الجماعات من المسلمين لتقوم بدور إثارة النعرة الطائفية، والقتال والسعي للسيطرة على مناطق معينة ومحاربة أصحاب المذاهب الأخرى في هذه المناطق انطلاقاً من نظرة تكفيرية حاقدة. وقد استشرى القتل والاقتتال بين الطائفتين من غير أن يشعر أتباعهم وأشياعهم أن الذي يسخرهم هو الاستعمار وأدواته من حكام تركيا والخليج وإيران والعراق، لخدمة أهداف أميركا ومشاريعها الاستعمارية في بلاد المسلمين، والمتمثلة بتثبيت حكام عملاء جدد لها، وحتى يطمس هذا الاستعمار وأدواته الإجرامية أهداف الأمة وغاياتها والمتمثلة بإقامة الخلافة الراشدة، ويصرف أنظارها عن الخطر الكبير (كيان يهود)، والاستعمار العسكري الأميركي في بلاد المسلمين!!.

٣- التفجيرات باسم الطائفية: حيث إن الاستعمار وعملاءه المجرمين في البلاد الإسلامية، يلجؤون إلى إشعال الحرب والاقتتال والحقد والكراهية بين المسلمين (السنة والشيعة) عن طريق وضع المتفجرات داخل مساجد السنة لتقتل المئات منهم، ثم وضع متفجرات أخرى داخل مساجد الشيعة، وأيضاً يلجأ العملاء إلى وضع سيارات مفخخة في أحياء يسكنها أتباع المذهب الشيعي، وسيارات أخرى بعد ذلك في أحياء يسكنها أتباع المذهب السني؛ فيقتلون الأبرياء من المسلمين في كلا الحيين، ويثيرون نار الفتنة والحقد بين أبناء مذاهب المسلمين كما هو حاصل في العراق المكلوم الممزق. وهكذا حتى تستقر الفتنة وتستمر بين المسلمين...

٤- مسألة التقسيمات الإدارية تحت عنوان النعرة الطائفية، وخاصة عندما يلجأ الاستعمار ويقسم بلاد المسلمين إلى كيانات سياسية، أو إلى حكم إداري لمنطقة معينة، ويدعي هذا الاستعمار الخبيث أنه يسعى لإنصاف هذه الفئة وإنقاذها من الظلم السياسي، وفي حقيقة الأمر هو يلجأ إلى إثارة النعرات الطائفية وإلى إثارة الحقد والبغضاء بين أبناء المسلمين كما هو حاصل في الجزائر بإثارة النعرة الأمازيغية، أو كما هو حاصل في شمال العراق بإثارة النعرة الكردية، مع أن هذه المناطق كانت تضم كل القوميات والأعراق تحت لواء الدولة الإسلامية الواحدة حتى عهد قريب.

إن هذه الأعمال الخبيثة الماكرة، وغيرها من أعمال على شاكلتها في إثارة النعرات الطائفية والمذهبية والقومية، هدفها تفتيت جسم الأمة الإسلامية بتجزئة المجرأ، وفي نفس الوقت الحيلولة دون عودة الوحدة إلى بلاد المسلمين، والحيلولة دون عودة الدولة الإسلامية إلى الأمة الإسلامية؛ لتجمعها من جديد كما كانت من قبل في دولة واحدة.

إن أدوات هذه الحرب الطائفية البغيضة هم الحكام العملاء في العالم الإسلامي، وأدواتهم من العلماء الضالين المضلين ومراكز الفتوى في هذه البلاد. وإن هؤلاء الحكام وأدواتهم من العلماء يكيلون بأكثر من مكيال ويزينون بأكثر من ميزان في هذه الحرب الطائفية البغيضة، فعلى سبيل المثال، سكت هؤلاء العلماء في أرض الحجاز عن الحلف الذي أقامته أميركا ضد ما يسمى بالإرهاب في العراق وأفغانستان، بل صاروا يدعون إلى محاربة الإرهاب مع هذا الحلف، ولم يتحدثوا في ذلك الوقت عن دخول السعودية جنبا إلى جنب مع إيران في محاربة المسلمين في أفغانستان، تحت ذريعة كاذبة اختلقها أميركا اسمها الحرب على الإرهاب، وسكت كذلك هؤلاء العلماء عن القوات الأميركية تساندها إيران وطوائف من الأحزاب الشيعية داخل العراق في بسط السيطرة الأميركية على أرضها؛ حيث لم يعتبروا ذلك عملاً إجرامياً، ولم يتحدثوا في ذلك الوقت أن هناك ناحية مذهبية اسمها الشيعة لقتل السنة كما يدعون، وسكتوا

كذلك على حكام آل سعود عندما دخلوا مع مصر وبعض بلاد المسلمين في حلف أميركا عندما غزت العراق سنة ١٩٩٠م ولم يعتبروا ذلك جريمة، ولكن هؤلاء العلماء قد انطلقت ألسنتهم وأقلامهم وصاروا يصدرون الفتاوى تلو الفتاوى الطائفية بعدما تحالف صالح مع الحوثيين بأن وراء هذا العمل هو إيران، وأنه يجب حربهم والوقوف في وجههم من منطلق طائفي!، بل أين كانت أقلامهم وخطاباتهم عندما كانت إيران تساند أميركا في العراق وأفغانستان؟ وهل ستبقى هذه الخطابات وهذه الأقلام بنفس الكلام وعلى نفس النسق عندما يوقع الحوثيون غداً اتفاقاً سياسياً على تقاسم السلطة في اليمن تحت مظلة السعودية والجامعة العربية؟!.. أم إن هذه الأقلام سوف تسكت وتخرس ولن تتكلم، بل ربما تدعم هذه الشرعية الدولية وشرعية الجامعة العربية؟!!

ومثل هؤلاء إيران وأتباعها من أصحاب العمام، وغيرهم من الجماعات الطائفية البغيضة، فإن حكام إيران يستخدمونهم استخداماً طائفيًا، تحت ذريعة مقاومة (إسرائيل) تلك الدعوى الكاذبة ومحاربة الشيطان الأكبر أميركا والتي لم نرَ منها ماء بل سراباً خادعاً، بل رأينا منها عمالة إيران لهذا الشيطان الأكبر، رأيناها في عمل إيران على تمكين أميركا في كل من أفغانستان والعراق، وهي تعمل لمصلحتها في كل من سوريا واليمن. فمسألة الصراع في المنطقة سياسي تستغل فيه أميركا الطائفية المذهبية بواسطة عملائها من الحكام أسوأ استغلال

إن الواضح وضوح الشمس في رابعة النهار أن كل هذه الدعوات تحت مسميات الطائفية والمذهبية هي دعوات سياسية غريبة عن المسلمين ومجتمعاتهم، وإن إثارها إنما هو بفعل فاعل من خارج بلاد المسلمين، وبأدوات من حكام المسلمين، وفتاوى من علمائهم الكاذبين الضالين المضلين أتباع الهوى والضلال والمناصب.

فالمسلمون طيلة تاريخهم الطويل لم يعرفوا هذا الاقتتال بين مذاهب المسلمين، ولا حتى بين المسلمين وغير المسلمين في بلاد المسلمين؛ فالفتنة التي حصلت بين المسلمين والنصارى في لبنان فإنها كانت بفعل فاعل من خارج بلاد المسلمين، فالنصارى عاشوا بين المسلمين سنوات طويلة في ودِّ متبادل وعلاقات ضمن دائرة الشرع الإسلامي، ولم يحدث بينهم اقتتال، وإن الذي أوجد نار الفتنة هم أدوات الاستعمار. فمن ينظر عبر تاريخ المسلمين الطويل يرى أن مذهب الشيعة ومذهب السنة في اليمن لم يحدث فيه أي اقتتال، وإن الذي دفع هؤلاء الحوثيين نحو هذا العمل هو دافع سياسي وليس مذهبيًا. ثم إن الذي دفع شيعة العراق نحو ما يقومون به من أعمال إجرامية هي أميركا وأدواتها، ودعمت كل من السعودية وإيران هذه السياسة.

والحقيقة، إن القادر على وأد هذه الفتنة المصطنعة المبرمجة هو وعي المسلمين

أولاً على أحكام دينهم، ووعيمهم على الواقع السياسي، ولا يقضي عليها إلا إقامة دولة الخلافة الراشدة، بل يمكن القول بكل اطمئنان إن هذه الفتنة الطائفية المذهبية والعرقية إنما أسست لها أميركا لتمنع بها توحيد المسلمين على الخلافة، مشروع المسلمين العظيم، وإن هذه الفتنة لا تخطط أميركا لتكون بين أصحاب المذاهب المختلفة فحسب، بل إنها لتكون أيضاً بين أتباع المذهب الواحد كما هو حاصل اليوم على أرض الشام والعراق، وذلك تحت حجة محاربة الإرهاب، والمقصود هو حرف بوصلة القتال من إسقاط النظام إلى العمل مع أميركا لمحاربة الإسلام!. نعم إن المسلمين يجب أن يهتدوا إلى أن الذي يحرك الفتنة هو الاستعمار وأدواته لإشغالهم عن الهدف الحقيقي؛ وهو إسقاط النظام لإقامة حكم الإسلام، وأن الأمر الذي يجب أن لا يغيب عن أذهان المسلمين هو إن هذه الفتنة لا مكان لها في دولة الإسلام، التي تحكم بشريعة الله عز وجل، وتقوي أصرة الأخوة بين المسلمين، وتقطع كل مؤامرات الكفار لبذر بذور الفتنة بين أبناء المسلمين، وإن هذه الدولة هي التي تحاسب من يخرج من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر من أي مذهب من مذاهب المسلمين، وليس الحرب الطائفية التي لا تميز بين مسلم وكافر، فمسألة تكفير المسلمين الشيعة جملةً لم يقل بها أصلاً أحد من المسلمين لا من علماء السلف ولا من المحدثين، فتسمية الشيعة جملةً وبكافة طوائفهم وفرقهم بالروافض فإن هذا لم يقل به علماء السلف من المسلمين، بل إن علماء السلف قد أخرجوا فرقاً من هؤلاء وذكروا الأسباب الشرعية التي أخرجتهم من الملة، ولا نريد أن نفصل في هذا الأمر. وليس من صلاحية أي مسلم أن يعلن الحرب على أتباع فرقة من الفرق بحجة الكفر والإيمان؛ فهذه مسألة تحتاج إلى قضاء وإلى سؤال وتحري، وسماع من الشخص والتأكد واليقين أنه خارج ملة المسلمين...

وأخيراً نقول: إن دولة الإسلام كقيلة بإعادة من خرج من الإسلام -ممن ضل بهم الطريق في مسائل العقيدة- إلى دائرة الصواب والاستقامة، وكقيلة بوأد كل هذه الفتنة (ما ظهر منها وما بطن)، وكقيلة كذلك بمنع هذه المؤامرات السياسية في زرع الفتنة والافتتال بين المسلمين، وأن تعود حياة المسلمين حياة أخوة وإيمان ومحبة كما كانت من قبل تطبيق دولة الإسلام هذا الدين رسالةً عدل واستقامة في أرض المسلمين، وتحمله رسالةً خير وهدى إلى خارج بلاد المسلمين.

نسأله تعالى أن يصرف عن المسلمين الفتنة ما ظهر منها وما بطن، وأن يحقن دماء المسلمين، وأن يصرف عنهم كيد الاستعمار من اليهود والنصارى وعملائهم من حكام المسلمين، وأن يكرم أمة الإسلام بخلافة راشدة على منهاج النبوة يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض، إنه سميع

قريب مجيب ... اللهم آمين. □

خطر غياب الوعي السياسي لما يجري في سوريا

أبو بكر - سوريا

لما بعث الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالإسلام بدأ بمخاطبة العقول وتحريضها على التفكير الصحيح واستثارتها قبل البدء بتلقين العقيدة أوسكبها سكباً في عقول الناس. لقد كان الخطاب الإلهي إعصاراً فكرياً يقتلع الأصنام اقتلاعاً من أذهان كفار قريش، فقد كان يحثهم على التفكير المستنير في السموات والأرض بكل مفرداتها التي تقع تحت حواسهم أو عاينوها بأنفسهم؛ فيقول لهم: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ وهو في الوقت نفسه يركز لهم طريقة التفكير الصحيحة من خلال إثارة البدهيات دون الإغراق في التفاصيل أو الإسهاب في الشرح؛ وذلك ليحرض العقول على التفكير وإحداث ثورة فكرية لدى الإنسان تدفعه للملاحظة والتأمل والاستنتاج؛ فتراه يقول مثلاً: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٢١﴾﴾ ويقول أيضاً: ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ ويقول ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾. وقد تجلّى تحريض العقول على التفكير الصحيح واضحاً في أسلوب الأنبياء من قبل في دعوتهم للناس. فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعلم قومه الطريقة الصحيحة في التفكير ليمتلكوا هذه العقلية المستنيرة فيهدتوا بها إلى الخالق المدبر، ولتصبح سجية لهم، ليس من أجل التوصل للعقيدة الصحيحة في التفكير فحسب، بل لتكون هي الطريقة التي يفهمون من خلالها واقعهم المعاش وما يحدث من حولهم من قضايا في العالم؛ إذ يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُجِبُ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ

قَالَ يَنْفَوِّرُ إِنِّي بِرِيٍّ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾. وللتأكيد على أن الإسلام بدأ بضرب العقلية الفاسدة والطريقة السطحية في التفكير أن النبي صلى الله عليه وسلم، في بداية دعوته الجهرية كما ورد في السيرة النبوية، كان يعيب آلهتهم ويسفه أحلامهم، والأحلام تعني العقول، أي إنه كان يشنع عليهم طريقتهم في التفكير ويقبحها، ويظهر سطحية أحكامهم على الأشياء قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ وهذا التسفيه لعقول الكفار ليعني نفي التفكير عنهم لأن الله سبحانه يقول عنهم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ والمكر يحتاج إلى التفكير والتخطيط، ولكن تسفيه العقول يعني ضرب الطريقة التي يفكرون بها وإظهار ضعفها وهشاشتها. فالكافر يفكر ويخطط ويحبك المؤامرات ولكنه لا يحسن الطريقة الصحيحة في التفكير. وهذه النقطة الدقيقة هي التي أشار إليها القرآن الكريم في فضح الوليد بن المغيرة وكشف نواياه وما خطط له في دار الندوة إذ يقول فيه: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٩﴾﴾ فإله سبحانه أثبت له التفكير ولكنه عاب عليه الكيفية التي فكر بها، أي طريقة تفكيره. وكذلك نرى هذه النقطة تظهر في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ فهم يملكون عقلاً وسمعاً. ولو لم يكن لديهم عقل لسقط عنهم التكليف كما هو الحال عند المجنون. ولكن الكلام يصرف هاهنا إلى الضلال في طريقة التفكير وسطحية العقل، أي إنهم لو كانوا يسمعون آيات الله سماع تدبر واهتمام، ويحسنون الطريقة في تفكيرهم، ويستنبطون بالفهم الصحيح في عقولهم لواقع الحياة الدنيا، وأنها مخلوقة لله، وأنهم محاسبون عن كل صغيرة وكبيرة يوم القيامة لما كانوا في نار جهنم. إن هذه الثورة في العقول التي حرض عليها القرآن الكريم والتي تؤدي إلى إحداث التغيير في طريقة تفكيرنا وفهمنا لما حولنا هي التي نحتاج إليها أولاً ونحن في طور الثورة على حكامنا الطغاة، وخاصة في ثورة الشام الأبية التي ستكون إن شاء الله منطلق الخلافة الإسلامية وعقر دارها. لذلك يجب أن يتوافق مع ثورة الشام الأبية على الطاغية (الأسد) وأعوانه ونظامه العلماني، ومع جميع ثورات الأمة على أنظمتها الكافرة، ثورة في عقولنا تعصف بكل الأفكار الجاهلية التي زرعها النظام العلماني على مدى تسعين عاماً. ثورة فكرية شاملة تحرر العقول من كل ثقافة أجنبية، ونخلع بها الطريقة السطحية في التفكير لتحل محلها الطريقة المستنيرة في فقه الواقع والحكم على الحوادث حولنا. نعم لقد ثار أهل الشام على طاغيتهم وقدمت ثورة الشام عدداً كبيراً من شهدائها، وضربت أروع الأمثلة من البطولات النادرة التي تذكرنا بمواقف الصحابة في بداية الدعوة في مكة، وصعدت الحناجر كباراً

وصغاراً (لن نركع إلا لله..). وكانت المشاعر الإسلامية والحماسية الملتهبة والجرأة والشجاعة في ثورة الشام ظاهرة لاتخفى على أحد، وبدا ذلك جلياً خاصة في بداية الثورة السلمية عندما كان الثائرون يواجهون الرصاص بصدورهم العارية بلا سلاح ودون تراجع ودون وهن؛ حتى وصل الأمر إلى أن يقوم أحد الثائرين (وهو في فرع المخابرات وبين أيدي عصابات الأسد) بالبصق على صورة الطاغية الأسد لما طلبوا منه أن يقبل تلك الصورة!! وحاول الغرب الكافر أن يركب موجة الثورة وأن يوجهها بحسب مصالحه وبحيث يفِر الثائرون من قدر العلمانية إلى قدر علمانية أخرى بوجه جديد يغطي قبحها بعضُ المساحيق التجميلية؛ ولكنه بعد أن يتس من ثنيها عن هدفها وبدأ بفقدان زمام الأمور فيها لجأ إلى زج الثائرين (من خلال عميله الأسد) في جحيم الفقر والهلع والدمار، وإعطاء الضوء الأخضر لعميله في استئصال الثورة عن بكرة أبيها، ثم قام في الوقت نفسه بصناعة أطواق نجاة أسماها الديمقراطية (الدولة المدنية) وصنع قوارب إنقاذ يقودها دعاة على أبواب جهنم أسماهم المجلس الوطني ومن بعده الائتلاف الوطني ينادون على الثائرين الغارقين في بحر الفقر والدمار والحاجة إلى السلاح والمال (أن هلموا إلينا) وهم بذلك لا يريدون طبعاً إنقاذ أحد، بل يريدون أن يكتوي الثائرون بنار الأسد المجرم، وأن تنهش وحوشهُ من أجساد الثائرين حتى يدب اليأس والإحباط فيهم؛ فتنكسر إرادتهم وبالتالي يتوسلون لأميركا وأوروبا أن ينتشلوهم إلى قواربهم المهترئة!!

حقاً ليست المشكلة في ثورة الشام الأبية بأنها لاتريد الإسلام مثلاً، أو أنها لاتريد تحكيم شرع الله، بغض النظر عن وجود ثغرات كبيرة في سلوكيات الثائرين على الأرض (دعك من العلمانيين الذين لا يمثلون إلا الفئة القليلة من هذه الثورة) أقول ليست المشكلة في ذلك، وإنما المشكلة هي في غياب الوعي السياسي لدى الثائرين أنفسهم، والعمل على جعلهم ينخدعون بالشخصيات الملمّعة، وإمكانية تضليلهم ببريق الأفكار الغربية ومفاهيمها الزائفة. فالحكام العملاء أمعنوا زمناً طويلاً في تكريس السطحية في تفكير الناس فضلاً عن تسميم مفاهيمهم. فمثلاً كان جمال عبد الناصر يأتي بالسلاح من روسيا إلى الثوار في فلسطين ليوهم الناس أنه مع القضية الفلسطينية، وأنه يحمل هم الأمة الإسلامية؛ فانساق الناس معه والتفوا حوله ونظروا إليه كبطل قومي دون الوعي السياسي على واقعه من حيث إنه عميل أميركي، فضلاً عن حكمه بغير ما أنزل الله. ومرة أخرى تظهر السطحية في التفكير وغياب الوعي السياسي لدى الثائرين في حكمهم على الرئيس المعزول محمد مرسي رئيس مصر حيث انخدع به كثير من الناس في مصر وخارج مصر، وكانت تجربة (الإسلام الديمقراطي!!) موضع إعجاب لدى البعض في ثورة الشام

الأبية، والذين بدورهم حاولوا ويحاولون حتى الآن حرف الثورة باتجاه هذا اللون من الحكم. وقد عمي على الثائرين أن هذا الرئيس المذكور يستخدم الآيات القرآنية في خطابه و يردد (نريد الإسلام) في الوقت الذي يعلنها ديمقراطية مدنية، بل ويقسم على المحافظة على النظام الجمهوري ودستور البلاد أول استلامه للسلطة، فضلاً عن التعهد بالمحافظة على الاتفاقيات مع الدول الأخرى مثل اتفاقية كامب ديفيد. وفضلاً عن محاولته أخذ القروض الربوية من صندوق النقد الدولي!! وكذلك تظهر الطريقة السطحية في التفكير عند الناس في دفاعهم عن رئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان وعن حزبه الذي يستخدم ورقة الدفاع عن الحجاب ليحرك بها مشاعر المسلمين والذي قام باحتضان اللاجئين السوريين في مخيمات (في جو من الإذلال والمراقبة المخبرية لهم) بل ويرسل المساعدات الطبية والغذائية إلى السوريين وهم يقتلون ويذبحون دون أن يحرك ساكناً من جيشه في الوقت الذي قال فيه: «لن أسمح بحماة أخرى!» ثم بعد ذلك كله يأتيك من الثائرين في ثورة الشام الأبية من يُعجب بتجربة أردوغان وحزبه في الحكم ويبرر له عدم إظهار أو إيصال الإسلام إلى الحكم بأن القوى العسكرية العلمانية تكبله وتحاصره!! وقد نسوا أو تناسوا مناورات أردوغان العسكرية المشتركة مع (إسرائيل) كل عام، بل وعلاقته الغزلية مع بشار الأسد قبيل الثورة بسنتين، وقيامه بتسليم حسين هرموش (المؤسس الأول لنواة الجيش الحر) إلى المخابرات السورية ضمن صفقة سرية معها. كما أنه غاب عنهم الوعي السياسي عندما لم يدركوا أن قيامه باحتضان اللاجئين والمنشقين من الضباط الكبار لم يكن إلا لضمان التأييد الشعبي له، ولخوفه من خسارته في الانتخابات التي ستحدد مصيره السياسي لاحقاً ناهيك عن ذلك كله الدور المنوط به أميركياً لإدارة الثورة في سوريا من خلال إمداد وتزويد أمراء الكتائب والمجالس العسكرية بالمال والسلاح لإبقائهم تحت توجيهه وسيطرته؛ ما يضمن استمرار المصالح الأميركية، وضمان عدم خروج زمام الأمور عن سيطرة أميركا بإبقائها دولة علمانية والحيلولة دون قيام الخلافة الإسلامية في بلاد الشام. وكذلك تبرز السطحية في التفكير لدى الثائرين في انخداعهم بنظام الحكم في السعودية، خصوصاً بعد الثورة. فهم ينظرون إليها على أنها دولة إسلامية باعتبارها تنفق المليارات على توسيع الحرم توسيعاً يبهز الأنظار، وتقوم بخدمة الحجاج الوافدين من أقاصي الدنيا، فضلاً عن وجود بعض اللوائح لتطبيق القضاء الإسلامي فيها (طبعاً القضاء لا يطال الأمراء) ومروراً بوقوف السعودية وقنواتها الممولة منها سياسياً مع ثورة الشام الأبية وقيامها باستجداء الأموال من الشعب رسمياً (٦٧ مليون ريال) لدعم الثورة، مع تسليط الأضواء الإعلامية على هذا السخاء وعلى

هذه الشفقة الفرعونية!! ونسي الناس المنبهرون بهكذا دولة أن السعودية لم تحرك ساكناً من جيشها لا لتحرير سوريا، ولا العراق، ولا فلسطين من قبل، بل قامت فوق ذلك بتمويل الحرب الأميركية على العراق في معظمها، ومن قبل احتضنت الجيش الأميركي على أراضيها بعد حرب الخليج ١٩٩١م، كما نسي الناس أن السعودية لاتحكم بالإسلام كنظام حكم، وأن نظامها ملكي وليس نظام خلافة، بل إنها حليف استراتيجي لأميركا خاصة، وللحلف الأطلسي عامة، كما صرح المسؤولون فيه. وبسبب أن ذاكرة الشعوب ضعيفة في ربط الماضي بالحاضر فقد نسي الناس أيضاً أن حكام آل سعود صدرت منهم مبادرات الخيانة تجاه القضية الفلسطينية عام ٢٠٠٢م، التي اقترح فيها التنازل عن مناطق (٤٨) من فلسطين لليهود مقابل اعتراف اليهود لهم بمناطق (٦٧)، وأن يتم بموجبها التطبيع مع اليهود ... ولم تكن هذه المبادرة إلا من إبداعات الملك عبد الله (ولي العهد آنذاك). وأخيراً ونحن في طور الثورة، نرى سطحية في التفكير لدى البعض بانخداعهم برئيس الائتلاف سابقاً معاذ الخطيب الذي وضعه الغرب لإضفاء الشرعية على الائتلاف. فبمجرد أنه كان إماماً وخطيباً تزينه لحية على وجهه، وتكلم في خطاباته بالإسلام وبالآيات القرآنية صار بعض الثائرين يقولون: يا قوم دعونا نعطيهِ الفرصة، فلعل نواياه طيبة، وأنه يريد الإسلام في الحكم، ولكنه لا يستطيع إظهاره الآن!! أقول متأملاً لهذا الحال: ألم يروا أنه ينادي بدولة علمانية ديمقراطية مدنية صراحة، وهو يطمئن أوباما عندما يطلب من الناس أن يقولوا (يا أوباما لاتخاف كلنا مع الائتلاف)!! أو ليس هذا ما يريده الغرب لنا!؟

نعم إن السطحية في التفكير مرض خطير، ويجب على الأمة الإسلامية خلعها والانخلاع منها؛ لذلك يجب علينا أن نحدث ثورة في عقول الناس في طريقة تفكيرهم على مستوى الأفراد، وحثهم على العمق والمعرفة الدقيقة بالواقع، وربطه بما حوله ومتملقاته، والحكم من وجهة نظر الإسلام ليتكون لديهم الفكر المستنير والوعي السياسي على المؤامرات الخبيثة والقيادات المضللة المقتنعة بالإسلام، ويجب أن يعلم حملة الدعوة أن الثورة الحقيقية هي ثورة العقول وتحريرها من الجاهلية، وأن التفكير المستنير لا يقل أهمية عن الفكرة المستنيرة نفسها، فكم من شاب ثائر تغيرت بعض أفكاره ومواقفه ولكن لم تتغير عقليته وطريقته في التفكير. وقدما قالوا: علمه الصيد أفضل من أن تعطيه سمكة. نسأل الله العظيم أن يكرمنا بالخلافة الراشدة على منهاج النبوة. فهي التي تصنع لنا السياسيين الواعين المستنيرين في طريقة تفكيرهم وأفكارهم، والذين يكونون بحق قادة للأمة الاسلامية، وأن نكون أهلا للنصر والتمكين في بلاد الشام المباركة، اللهم آمين □

بسم الله الرحمن الرحيم

العلماء وثورات الأمة بين العمل لإقامة الخلافة الواجب وتركيع الأمة للغرب الكافر وعملائه

مصطفى هاشم زايد

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير في ولاية مصر

من المعلوم شرعاً أن العلم هو ميراث النبوة، والعلماء ورثة الأنبياء؛ لذا تعين على العلماء قبل غيرهم أن يقوموا من الناس مقام حملة الدعوة المبلّغين عن رب العالمين؛ لأنهم وكما يفترض بهم هم أعلم الناس بحلال الله وحرامه، فهذا ميراثهم: حملهم العلم والعمل والبلاغ للناس؛ فهم أول من يجب أن يرى الفتنة وهي مقبلة بما علموا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بينما يراها الناس بعد أن تقع ويقعوا فيها. فدورهم هو توعية الناس وتحذيرهم ووقايتهم من الوقوع في الفتنة، لا أن يقعوا ويوقعوا الناس فيها، وهم أحد ركنين ركنين لصالح الأمة مع الحكام كما أخبر الصادق المصدوق: «صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء» رواه أبو نعيم في الحلية.

ويفسد الحكام والأمراء بفساد العلماء، إذ إنه منوط بهم محاسبة الحكام وتوعية الأمة على وجوب وكيفية محاسبتهم وأطهرهم على الحق أطراً، ولا يجوز لهم القعود أو التقصير في هذا الدور المنوط بهم، وقد أخذ الله منهم الميثاق على ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيْنَهُ، لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُوهُ، فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مُمْنًا قَلِيلاً فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧)، فهم مكلفون بالتبليغ ومسؤولون عنه أمام الله عز وجل، وهذا ما فهمه الصحابة والتابعون، وتبين لنا عبارة رباعي بن عامر الشهيرة أمام رستم ببلاغة متناهية فهم حملة الدعوة كيف يكون حمل الدعوة حين قال: «إنما ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»... فهم عميق مستنير لميراث النبوة في حمل الإسلام ودعوته وبلاغه للناس.

هكذا فهموا الإسلام، وهكذا حملوه وورثوه لمن بعدهم كابراً عن كابر، فرأيانهم يحاسبون الحكام ويقفون منهم موقف الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فها هو صهيب يحاسب

عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، على ثوبه الطويل أمام الأمة حتى بين عمر سبب طول ثوبه عن بقيتهم، لم يستحي صهيب ولم يسكت عن حق المحاسبة، ولم يغضب عمر وإنما بين موقفه بكل شفافية ووضوح، وقيل المحاسبة أمام الأمة، ثم رأينا منهم الثبات على ما علموا وعلموا من الكتاب والسنة، فضربوا لنا أروع الأمثلة في الفداء والصبر والثبات، فمن عطيط الزيات إلى سعيد بن جبير إلى ابن حنبل وغيرهم... ثبات على الحق، ويقين في ذات الله، وابتغاء لرضوانه جعلهم يجهرون بالحق ولا يخشون في الله لومة لائم، ولقد عرفنا كيف كان سلطان العلماء العز بن عبد السلام يجهر بالحق حتى إن أحد تلاميذه قال له وقد عاد من عند السلطان شاكياً محاسباً، قال له: أما خفته يا إمام؟ فقال العز: لقد استحضرت عظمة الله أمامي؛ فصار السلطان أمامي كالهر، وهو صاحب المقولة الشهيرة: «إذا رأيتم العالم على باب السلطان فاتهموه».

هكذا كان العلماء وكانت الأمة عندما كانت للمسلمين دولة تحكمهم بالإسلام، وتهتم بإيجاد شخصيات إسلامية تفكر وتشجع حاجاتها وغرائزها على أساس عقيدته وما انبثق عنها من أحكام، لدرجة أن عوام الناس كانوا يتناقشون في مسائل الأحكام الشرعية نقاش أهل الاجتهاد، بما لديهم من وعي وفهم صحيح للإسلام. أما في زمن الانحطاط وغياب الدولة التي تطبق الإسلام، فلم تعد العقيدة أساساً لتفكير الناس على العموم وإن كانت أفكارهم إسلامية بالمجمل، وأصبحت النفعية المادية هي مقياس أعمالهم، وعلى أساسها تشبع حاجاتهم وغرائزهم بدلاً من الحلال والحرام والتقييد بأحكام الشرع، وصارت الأمة أحوج ما تكون إلى علماء ربانيين يهدونها السبيل الصحيح وينيرون لها درب الهدى. فهذا واجبه المنوط بهم لكونهم ورثة الأنبياء، وإن لم يقوموا به حق القيام وتركوا الأمة تتخبط في ظلمات الجهل والانحطاط خائفة خاضعة تحت نير الغرب وناره تتحكم فيها أفكاره، ينهب ثرواتها وخيراتنا، ويدمر شبها وشبابها، فالويل كل الويل لهم، ضياع في الدنيا وعذاب شديد في الآخرة.

في ظل أنظمة الجور الحالية لم يتوقف الأمر على صمت مطبق أو تواطؤ من كثير من علماء الأمة، بل تلوّث أفكارهم بأفكار الكفر، فلم تعد نظرهم للأمر من منظور الإسلام، وأصبحوا وهم يعتمرون العمامة يعتلون المنابر ويعلمون الناس الإسلام برؤية غربية تبتعد بهم عن تحكيم الإسلام ومنهجه كما نزل على رسول الله ﷺ، وكأني بهم قد طال عليهم الأمد فأصبح الواقع هو مصدر تفكيرهم لا موضع عملهم للتغيير، بل لا يرون فكاً عن الارتقاء في أحضان الغرب وانتظار نصره ونصرتة، ولا أدل على ذلك من حديثهم المملول المكرر عن الديمقراطية والدولة المدنية، وتبريرهم لرفع رايات سايكس بيكو بدلاً من راية الإسلام.

لقد صرنا نسمع منهم العجب العجائب، فرأينا من يقولون أن حكام الأمة الآن هم ولاة أمر شرعيين يحرم الخروج عليهم بدلاً من تعريف الناس بواقعهم الصحيح من كونهم حكاماً ضاراً لا شرعية لهم، وأن الواجب خلعهم وإقامة الخلافة على منهاج النبوة عوضاً عنهم. ثم رأينا من يدعو للجهاد من أجل الديمقراطية ويطالب بدولة مدنية مدعياً أن دولة الإسلام دولة مدنية، بما في ذلك من تدليس وتلبيس على الأمة، ومنهم من يلبس أكثر فيدعو إلى دولة مدنية ذات

مرجعية إسلامية. ناهيك عن الفتاوى التي تبرر قتل وترويع الآمنين من أبناء الأمة بالوقوف في صف جلادي الأمة وعملاء الغرب ووكلائه الخونة وما عاصفة الحزم وتهجير أهل سيناء عنا ببعيد. فقد رأينا علماء وقرأء في ملابس الجند وفي طائرات القصف محمسين الجنود على خدمة مشاريع الغرب الكافر في بلاد الإسلام، واصفين بعض هؤلاء الحكام من سماسة الغرب وأدواته بأنهم حماة أهل السنة وخط الدفاع الأخير أمام التمدد الشيعي المجوسي الفارسي، والدعوة لهم على منبر رسول الله ﷺ، رغم علمنا وعلمهم أن هؤلاء الحكام لا تحركهم طائفية ولا قومية ولا وطنية وإنما تحركهم تلك العروش التي نخر فيها السوس. ومثله ما نراه عندما يزور علماء ومسؤولو حركات شيعية يزورون جبهات القتال تشجيعاً لمقاتلي طائفتهم للقيام بواجبهم المقدس في الدفاع عن النظام العلماني الكافر السفاح ودعوتهم إلى حماية الأضرحة والمزارات المقدسة عندهم. وهؤلاء تحركهم نعرات طائفية بغیضة وتستغلها إيران التي رهنت سياستها لسياسة أميركا انطلاقاً من أحلام أمبراطورية فارسية منتنة ظهرت على السنة بعض مسؤوليها.

وقبل أن نتكلم عن هؤلاء العلماء لابد من أن نوضح واقع الأمة الآن في ظل هذه الثورات التي عمت أرجاءها فأيقظتها من سباتها، مستعرضين وموضحين موقفهم منها منذ وقبل البدء فيها، وموافقهم فيها وكيفية تعاطيهم وتعاملهم معها، والموقف الشرعي الذي يجب أن يصدر من العلماء الربانيين تجاه هؤلاء الحكام، وتجاه حراك الشعوب الثائرة عليهم، لافتين النظر إلى أن الواقع لا يجوز أن يكون مصدر تفكيرنا وإنما يجب أن يكون موضع عملنا للتغيير.

إن الواقع الذي نعيشه الآن بتفصيلاته ومنذ سقوط الخلافة العثمانية مخالف للواقع الذي يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية، حيث لا وجود لدولة تطبق الإسلام في الداخل وتحمله للعالم بالدعوة والجهاد، فانتشر الجهل والفقر والمرض وتمكن الغرب من رقاب المسلمين وبلادهم وعمل على زيادة إفقارهم وتجهيلهم وطمس هويتهم وفصلهم عن دينهم بما فيه من أحكام تكفل لهم الرقي والرخاء، كما أعاد صياغة تاريخ الأمة بما يناسب ويخدم مشروعه القائم على القوميات والوطنيات والعرقيات وما فيها من عصبية تبقي الأمة في حالة من الصراع والنزاع يحول دون وحدتها من جديد، ورسم الحدود والرايات وقسم الأمة إلى دويلات بعضها لا يغطي عورة فملة، ووضع على كل منها وكيلاً عنه أسماه حاكماً ملكاً وأميراً ورئيساً يرعى مصالحه ويقمع أبناء الأمة والساعين لنهضتها. وظلت الأمة هكذا عقوداً من الزمن أصابها ما أصابها، إلا أنها ظلت تسعى جاهدة للانعتاق من التبعية والتحرر من عدوها وأفكاره وأنظمتها يقودها علماء مخلصين من أبنائها تكتلوا من أجل إنهاض أمتهم، ظلوا يضحون في الأمة الأفكار الصحيحة ويفضحون الغرب وعملاءه ويكشفون تأمره على الأمة. تزامن هذا مع وجود علماء ارتبطوا وارتبط وجودهم بهؤلاء الحكام العملاء، فأصموا آذاننا بوجود طاعة هؤلاء الحكام باعتبارهم ولاة أمر يحرم الخروج عليهم، وكأنهم ولاة أمر شرعيين، وخلعوا عليهم كل الصفات الشرعية التي لا تُخلع إلا على خليفة المسلمين.

أمام هذا الضغط والقهر والقمع من الحكام وتبرير أعمالهم وتحسينها من قبل علماء

السلطين، وأمام سياسة التهميش والإفقار ونهب الثروات الممنهج من قبل النظام الرأسمالي النفعي انطلقت ثورات الشعوب من تونس إلى مصر واليمن وليبيا وسوريا، تخطت الأمة الجميع بما فيهم الحكام وعلماة السلطين، بل تخطت وسبقت حتى بعض الحركات التي كانت تدعي أنها تسعى للنهضة، خرجت الجموع مطالبة بإسقاط الأنظمة المرتبطة بالغرب، بمعنى أنها أدركت أن عدوها الأول هو الغرب الذي يقف خلف تلك الأنظمة وهؤلاء الحكام ويحركهم كقطع الشطرنج.

إلا أن هذا الحراك افتقد إلى قيادة فكرية وقيادة فعلية تقود وتحرك هذه الجموع الثائرة، بمعنى أنه لم يكن هناك مشروع نظام بديل مطروح يملك القدرة على علاج مشكلات الناس بحل جذري ولا حتى بحلول جزئية، وذلك رغم ما نادى به البعض مطالبين بتطبيق الشريعة وعودة الإسلام للحكم دون أن يعوا على تفصيلات تطبيق الإسلام وكيفية وصوله للحكم بطريقة شرعية معتبرة... كما افتقد الحراك أيضاً إلى القادة السياسيين المخلصين الواعين على مؤامرات الغرب، والقادرين على مواجهته وهزيمته في صراع الأفكار، وفضحه وفضح مؤامراته لاحتواء حراك الأمة، الذي كان هدفه الرئيس الانعتاق من التبعية للغرب والعودة لحكم الإسلام وإن لم يدركوا هذا. بيد أن طموحهم للعدل وعودة حقوقهم لا يتحقق بغير عودة الإسلام للحكم من خلال دولة الخلافة على منهاج النبوة، وهذا ما كان يجب أن يدركوه.

لقد كان عدم وجود القيادة الواعية لحركة الجماهير وتقاعس العلماء عن القيام بالدور المنوط بهم هو الذي مكن الغرب من احتواء الثورات والالتفاف حولها وخذاع الأمة وإعادة استنساخ أنظمتها برؤوس جدد، ربما بعض هؤلاء أخلص للغرب وأشد عداوة للإسلام من عملائه القدامى، وقد رأينا من يطالب بثورة دينية ويسعى لتجديد الخطاب الديني ويعتبر الجهاد كارثة عالمية، محاطاً بشرعنة وتأييد من بعض من يسمون علماء من رجالات الأزهر وغيرهم ممن باعوا دينهم بدنيا هؤلاء الحكام.

فمن يناط به الدفاع عن الإسلام، والتصدي للغرب وأدواته، وتوعية الأمة على حقوقها، وكيفية الوصول إليها، وفضح الخونة والمتآمرين على الأمة؟! ومن يقوم على قيادة الأمة وتوعيتها على كيفية الوصول إلى حكم الإسلام، وكيفية الحكم به بتفصيلاته؟! أليسوا هم العلماء؟! فكيف إذا صمتوا أو اتخذوا جانب الباطل!؟

لقد كانت مبالاة بعض المنتسبين للعلم الشرعي للحكام وإقرارهم لحكمهم وما هم عليه من مخالفات شرعية واضحة توجب خلعهم، ومطالبتهم الأمة بطاعتهم وإن جلدوا الظهر وأخذوا المال، في مخالفة صريحة لما أمر به النبي ﷺ وما كان عليه الصحب الكرام، وما أفتوا به من تحريم التظاهر بدعوى تحريم الخروج على الحاكم، بل وتحريم مجرد نصحهم على الملأ، وتدليسهم وتبليسهم الحق بالباطل... كانت من أهم العوامل التي أفقدت حراك الأمة فعاليتها، وكانت سبباً في تحييد قطاع كبير من أبناء الأمة وإبعادهم عن حلبة الصراع. والغريب

أن هؤلاء العلماء لم ينصحوا الحكام بالكف عن الرعية، وإنما نصحوا الرعية بالخنوع والخضوع، متخلين بذلك عن ميراث النبوة الذي يوجب عليهم القوامة على فكر الأمة ووعيتها والمطالبة بحقوقها.

لقد رأيناهم وقد سقطوا في الفتنة وفتنوا المؤمنين عن دينهم وأصبحوا مطايا للحكام الخونة الظالمين، يصدون عن سبيل الله بدعوى الخشية من الوقوع في الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا، فعملوا على الفت في عضد الثائرين وتأييسهم من التغيير تارة، وإيهامهم أن هؤلاء متغلبون ولا قبل لكم بهم، وأن الحكمة تقتضي الركون والدعة تارة أخرى، متأولين متهوكين يلوون عنق النصوص ويضعونها في غير موضعها، مدلسين ملبسين الحق بالباطل، خائنين للأمة التي وثقت فيهم مظنة العلم، وقبلت منهم مظنة العدالة التي ادعوها، فقادوها إلى مهالكها ومكنوا عدوها منها، وكان الأولى بهم بدلاً من تثبيط همة الأمة وتأييسها من التغيير أن يكونوا هم قادة هذا التغيير وصانعيه والمؤثرين في كل حراك للأمة وموجهيه الوجهة الصحيحة، لا أن تسبقهم الأمة وتتخطاهم وتبحث عن غيرهم لحمل الأمانة وقيادتها إلى عزها ومجدها.

إن ما يجب على العلماء بمقتضى ميراث النبوة أن تكون رؤيتهم للأمور رؤية شرعية أساسها الإسلام وعقيدته وأحكامه، وأن تكون نظرتهم ومقياسهم الحلال والحرام، وأن لا يختلط بأفكارهم أى من أفكار الكفر، ثم القيام في الأمة عاملين على تجسيد أفكار الإسلام فيها ومبينين لها وجوب تغيير الواقع الذي تحياه واستبداله بخلافة على منهاج النبوة، مع بيان وجوب الحكم بالإسلام كاملاً غير منقوص وبيان تفصيلات الحكم الإسلامي وكيفياته وتعريف الناس به، وتحويله إلى مفاهيم يلمسها الناس لمساً حقيقياً، ويثقون في قدرتها على علاج مشكلاتهم، ومحو الفكرة التي تقول بأن تطبيق الإسلام هو تطبيق الحدود فقط، وإظهار ما فيه من نظام كامل شامل لجميع جوانب الحياة، يجب تطبيقه كله بلا تجزيء ولا تدريج حتى لا ينتج نموذجاً مشوهاً يُنفر الناس من الإسلام وحكمه، كما أنه يملك الكيفية التي يحكم بها والكيفية التي يصل بها للحكم دون الحاجة لغيره من الأنظمة، أو اللجوء والخضوع للواقع وآلياته وأعرافه وقوانينه.

هكذا طبق رسول الله ﷺ ومن بعده الصحب الكرام الإسلام كاملاً بلا تدريج ولا تعطيل، ولم يرد مطلقاً أن حكماً واحداً نزل على رسول الله ﷺ فتدرج في تطبيقه ولم يبادر إلى تنفيذه مباشرة فور نزوله. هذا ما يجب أن يعيه جيداً كل عامل لتحكيم الإسلام في واقع الحياة وخاصة العلماء.

إن واجب العلماء قيادة الشعوب وتوعيتها على ما يحقق طموحها ويعيد إليها حقوقها وكرامتها وأمنها ورعايتها وما ترجوه من عدل ورفق ورغد عيش، إن كل هذه الأشياء لا تتحقق إلا بالإسلام وتحكيمه كاملاً شاملاً في دولة الخلافة على منهاج النبوة. وإن أي حلول دونها ما هي إلا حلول ترقيعية للنظام الرأسمالي الحاكم الناهب لثروات الشعوب ولن يعالج مشكلات الناس، بل هو حلقة من حلقات خداعهم والالتفاف حول مطالبهم لتثبيت أركان نظامه برؤوس جديدة،

وإننا نلرى ذلك واقعاً في تونس واليمن ومصر وليبيا، ولم ينج منها حتى الآن إلا ثورة الشام. لقد أصبحت ثورة الشام بحق ثورة الأمة الكاشفة الفاضحة التي تنفي خبثها وينصع طيبيها، بينما تمكن الغرب من غيرها لسقوط كثير من علماء تلكم البلاد في غيابة جب الحكام عملاء الغرب، فشاركوهم في تمييع القضايا وتشويه الإسلام وتقزيمه في مجموعة الحدود، وثالثة الأسافي حثهم الشعوب على الخضوع لما يمليه الغرب وقبول آلياته وأدواته. فبدلاً من أن يكونوا عينين للأمة تحميها وترعاها، صاروا عمياناً يقودونها إلى الهاوية، فأسقطوا الأمة في شرك الحكام وساقوها كما تساق الخراف إلى مسلخ الجزائر، فتخلوا بذلك عن ميراثهم الذي ورثوه.

وإننا نذكر هؤلاء العلماء ميثاق الله عليهم وميراث النبوة الذي حملوه أن تخشع قلوبهم لذكر الله، وأن يكونوا عقل الأمة الواعي المفكر، حاملين راية رسول الله ﷺ عاملين لاستئناف الحياة الإسلامية في دولة الخلافة على منهاج النبوة التي تحكم في الناس بشرع ربهم وترعى الناس على أساس أحكامه وتحمله للعالم بالدعوة والجهاد، فيرى الناس الإسلام واقعاً عملياً مطبقاً، وإننا نذكركم الله وميثاقه ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾؛ فبينوا للناس واجبههم وما فرض عليهم من عمل لهذا، وكونوا قوامين عليهم شهداء بالقسط ولا تتبعوا آخرتكم ودينكم وميراث نبيكم بنديا هؤلاء الحكام، واعلموا أن ما عند الله خير وأبقى، ففي جنة الله قصور من ذهب وفضة ويقوت وحوار عين وخيرات حسان، فلا تضحوا بها بمتاع من الدنيا قليل، فدولة الخلافة التي ستطبق الإسلام قادمة قائمة لا محالة بكم أو بغيركم، فإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم وأنتم الأخسرون بعودكم عنها وعن العمل لها مع العاملين، فمن عمل لها فاز وبرئت ذمته أمام الله، ومن تقوم على يده ففائز في الدنيا والآخرة، اللهم اجعله قريباً واجعله بأيدينا.

أيها العلماء: من للإسلام إن لم يكن أنتم؟! من لحمل راية رسول الله إن لم تحملوها أنتم؟! من لحمل الإسلام للناس منهج حياة كما حمله رسول الله ﷺ وصحبه إن لم يكن أنتم؟!

نسألکم الله أن تكونوا في صف الأمة، لا في صف عدوها، لتفوزوا وتفلقوا وينجيكم الله من غضبه وعقابه، قبل أن يأتي يوم يُقال فيه ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ (٢٤)، واعلموا أن النصر قادم لا محالة بكم أو بغيركم فكونوا عوناً له وأداة من أدواته، ولا تكونوا معاول هدم في يد أعداء الله ورسوله وشرعه ودينه، وحسبكم من الله قوله لكم ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣)، وإننا وإياكم لأحوج إلى رحمة الله ومغفرته ورضوانه، فاجعلوا بيننا وبينكم ما علمتم من الكتاب والسنة حكماً وحكماً، وتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نسمع إلا لما أمرنا به رسول الله ﷺ، حيث قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنم بهما: كتاب الله وسنة رسوله» فما وافقهما أخذناه وحملناه ودعونا له الناس وجمعناهم عليه، ومن خالفهما نبذناه وتركناه ورددناه؛ فبادروا وسارعوا وسددوا وقاربوا ورابطوا واتقوا الله لعل الله أن يفتح على أيديكم فتكون أسد الناس في الدنيا ومن أكرمهم في الآخرة. □

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مُدخَلَاتُ الْعَمَلِ السِّیَاسِيِّ الصَّحِيحِ وَمُخْرَجَاتُهُ

لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنَ الْمَسْلَمِ بِهِ أَنَّ الْعَمَلَ السِّیَاسِيَّ لِاسْتِنْتِافِ الْحَيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِإِقَامَةِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ الثَّانِيَّةِ عَلَى مَنَهِاجِ النَّبُوَّةِ، يَهْدَفُ إِلَى إِنْهَاصِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَهْضَةً صَحِيحَةً، أَيْ إِعَادَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى مَرْكَزِهَا الطَّبِيعِيِّ بَيْنَ الْأُمَمِ، مَرْكَزِ الصِّدَارَةِ وَقِيَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا قِيَادَةً مَبْدِئِيَّةً تَضْمَنُ لَهَا السَّعَادَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالْخُلُودَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَلْكَ غَايَةٌ سَامِيَةٌ يَجِبُ أَنْ يَحْمَدَ الْمُسْلِمُونَ اللَّهَ عَلَيْهَا، أَنْ وَكَّلَهُمْ بِهَا دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ .

وَالْإِسْلَامُ مَبْدَأٌ عِلْمِيٌّ إِنْسَانِيٌّ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيَرْتَفَعَ بِالْإِنْسَانِ مِنْ دَرَكِ الشَّهْوَانِيَّةِ الْبِهَائِمِيَّةِ، إِلَى أَوْجِ الْعِبُودِيَّةِ الَّتِي تُقَرُّ بِرَبُوبِيَّةِ الْخَالِقِ الْمَدْبُرِ، وَوُجُوبِ خُضُوعِ الْبَشَرِ جَمِيعاً لِنِظَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ قَنِلُوا الذِّبْنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الذِّبْنِ أَوْثُوا لُكْتَبَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (٢١) وَلِذَلِكَ فَلَا يُتَّصَرُّ شَرْعاً وَلَا عَقْلاً أَنْ تَنْجَزَ الْأُمَّةُ رِسَالَتَهَا هَذِهِ مِنْ غَيْرِ سُلْطَانٍ يَجْمَعُ شَتَاتَهَا فِي كِيَانٍ سِيَاسِيٍّ وَاحِدٍ، يُقِيمُ فِيهِمْ حَكْمَ الْإِسْلَامِ عَقِيدَةً وَمَنَهِاجَ حَيَاةٍ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُتَّصَرُّ شَرْعاً وَلَا عَقْلاً أَنْ يَعُودَ سُلْطَانُ الْإِسْلَامِ وَدَوْلَتُهُ بِحَمَلٍ عَشْوَائِيٍّ غَيْرِ مَمْنَهَجٍ لِلدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ تَكْتَلِ سِيَاسِيٍّ يَتَبَنَّى الْمَبْدَأَ فَكْرَةً وَطَرِيقَةً، وَيَسِيرُ وَفَقَ طَرِيقَةً شَرْعِيَّةً دُونَ حَيْدٍ قَيْدِ شَعْرَةٍ عَنْهَا، وَيَتَبَنَّى مَصَالِحَ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعاً. كَمَا أَنَّهُ لَا يُتَّصَرُّ شَرْعاً وَلَا عَقْلاً أَيْضاً، أَنَّ هَذَا التَّكْتَلُ قَادِرٌ عَلَى النُّهُوضِ بِالْإِنْسَانِيَّةِ وَحْدَهُ بِمَعزَلٍ عَنِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنْ هُنَا تَتَبَلُّرُ لَنَا حَقِيقَةُ يَجِبُ أَنْ لَا تَغِيبَ سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ عَنِ ذَهْنِ حَامِلِ الدَّعْوَةِ، أَلَا وَهِيَ: إِنَّ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ هِيَ الْوَعَاءُ الْحَاضِنُ لِلْحَرْبِ حِينَ السَّيْرِ فِي طَرِيقِ النُّهُوضِ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ وَقَائِعَ طَرَأَتْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَانْحَدَرَتْ بِهِمْ إِلَى مَوْقِعٍ مِنَ الْإِنْحِطَاطِ وَمَسْتَوَى خَطِيرٍ مِنَ التَّبَعِيَّةِ لِلْغَرِبِ الْكَافِرِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا كُلُّهُ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا لِيَحْدُثَ بِشَكْلِ طَبِيعِيٍّ، بَلْ إِنَّ حُدُوثَهُ مَرَّ ضَمْنِ مَوَازِمَ أَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا، حَتَّى وُلِدَ هَذَا الْوَاقِعُ عَلَى إِثْرِ عَمَلِيَّةٍ قَيْصَرِيَّةٍ أَنْجَبَتْهُ، وَبِذَلِكَ خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ طَائِعِينَ أَوْ مُكْرَهِينَ مِنْ عَقَالِ الْإِنْقِيَادِ لِمَبْدِئِهِمْ، وَخَضَعُوا لِأَنْظِمَةِ الْمَلِكِ الْجَبْرِيِّ خُضُوعاً بُولِيسِيّاً جَعَلَ لِلْكَافِرِ الْمُسْتَعْمِرِ عَلَيْهِمْ كُلَّ سَبِيلٍ.

إِنَّ دِقَّةَ الْعَمَلِ السِّیَاسِيِّ الْمَبْدِئِيِّ تَوْجِبُ سَبْرَ أَعْوَارِ الْوَاقِعِ الْمَفْرُوضِ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِشَكْلِ يُبْصِرُ حَمَلَةَ الدَّعْوَةِ سَبِيلَ النُّهُوضِ بِالْأُمَّةِ، وَيَجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ وَجُوبِ ثَبَاتِ الْحَرْبِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ دُونَ حَيْدٍ عَنْهَا مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ لُغَةِ الْخُطَابِ الرَّعْوِيِّ لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَالْحَاصِلُ، إِنَّ اخْتِرَاقَ الْعُقُبَاتِ وَالْحُجُبِ الَّتِي تَقْفُ سَدًّا مَنِيعاً أَمَامَ وَصُولِ الْمَبْدَأِ وَصُولاً طَبِيعِيّاً سَيَادِيّاً إِلَى سِدَةِ الْحَكْمِ، يَقْتَضِي الْمُرُورَ عِبْرَ ثَلَاثَةِ مَحَاوِرَ:

مُدخَلَاتُ العَمَلِ السِّيَاسِيِّ الصَّحِيحِ وَمُخْرَجَاتُهُ

المحور الأول: الصراعُ الفكريُّ مع المجتمع: صحیحٌ أَنَّ الحزبَ قد قطعَ شوطاً عظيماً من الصراعِ الفكريِّ مع مكوناتِ المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ، ذابت نتیجتُهُ أفكارٌ وتآكلتِ أخرى، إلا أنَّ هذا لا يعني بحالٍ أنَّ المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ قد خلت من كلِّ المفاهيمِ الباطلةِ والمغلوطةِ، ولنا أن نتصورَ قرناً من الانحطاطِ الفكريِّ وتداعياته على المسلمين، إنَّ عقوداً من العيشِ تحت وطأةِ الفكرِ الدخيلِ علينا أنجبت أجيالاً من الظالمين يدعون إلى ظلماتِ الرأسماليةِ ومن قبلها الاشتراكيةِ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وأرتالاً من المضبوعين يهرفون بما لا يعرفون، وأحزاباً وتكتلاتٍ من السياسيين ينعمون بأفكارِ الكفرِ ومشاريعه، بل وأحزاباً إسلاميةً سقطت هي الأخرى في جحرِ الضبِّ الذي سقط فيه الآخرون، ولما كان الصراعُ الفكريُّ من طريقةِ الإسلام في إيجادِ الرأيِ العامِّ الحاضنِ لفكرةِ الخلافة؛ كان التصادمُ العنيفُ بينَ الحزبِ ومكوناتِ المجتمعِ أمراً لا بُدَّ منه، والذي قد يتخذُ أشكالاً من المواجهةِ مع الأمةِ، منها الماديُّ أحياناً، وأبرزها الفكريُّ في غالبِ الأحيان. وما على حاملِ الدعوةِ حينئذٍ إلا أن يثبت ثباتَ الجبالِ الراسياتِ، متمسكاً بفكرتهِ وعاضاً على طريقتهِ، يُظهرُ قوةَ الفكرِ وصلابةَ الموقفِ، ولا يرعوي لباطلٍ، ولا يستخذي أمامَ دُعائه، وفي نفسِ الوقتِ يُخاطبُ أُمَّتَهُ خطابَ الأبِ الحاني والأُمِّ الرؤومِ، مستحضراً قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣) وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ ومُنَاسِيَةً بخيرِ البريةِ وهاديِ البشريةِ، وهو يُخاطبُ المجتمعَ القرشيَّ الكافرَ بقوةِ الفكرةِ التي أعيت بليغهم وأعجزت نبیهم، فما استطال عليهم، بل كان كما وصفه ربُّه سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨). ففي الوقتِ الذي كان فيه النبيُّ - صلواتُ ربي وسلامُهُ عليه - لا يتهاونُ في دحضِ أفكارِ الكفرِ وتهشيمِ معتقداتِ الجاهليةِ، كان لا يتوانى لحظةً عن طلبِ الهدايةِ لقومِهِ، بأسلوبٍ يجمعُ بينَ الحِلْمِ والحزمِ، واللباقةِ والحسمِ، والصدقِ والعزمِ، يكفرُ بالجاهليةِ ويتبرأُ منها ويدعو اللهَ أن يعزّه بأحدِ العَمَرَيْنِ في آن، حتى إنَّ ربُّه سبحانه وتعالى أشفقَ عليه من شدةِ إشفاقِهِ على قومه فقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَّفْسَكَ عَلَيَّ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (٦).

المحور الثاني: الكفاحُ السياسيُّ مع الأنظمة: إنَّ الكافرَ المستعمرَ يدركُ أكثرَ مما يدركُ كثيرٌ من أبناءِ المسلمين أنَّ عودةَ الإسلامِ وخلافتهِ يعني ببسيطِ العبارةِ زوالَهُ عن الحلبةِ الدوليةِ، بل وزوالَ كيانهِ في عقرِ دارِهِ، ولذلك لن يألُو الكفارُ جهداً ولن يدخروا سبيلاً يندون بهما أي ملامةٍ تُوميُّ ولو إيماءً بتغييرِ واقعِ المسلمين؛ لذلك لا بُدَّ أن يستحضرَ حاملُ الدعوةِ هذه الحقيقةَ. لقد شيَّدَ الكافرُ المستعمرُ أنظمةَ الملكِ الجبريِّ على عَيْنِهِ، واختارَ حكامَ المسلمين من بعدِ ما اطمأنَّ

مُدخَلات العمل السياسيّ الصحيح ومُخرجاته

إلى كفاءتهم في ترويض شعوبهم، ونباهتهم في التربُّص بالمخلصين، وصلابتهم في تثبيت كياناتهم الثنّة؛ فكانوا بحقّ حُطمةً يوردونَ شعوبهم المهالك، وصبياناً سفهاء لا يفقهونَ في السياسة إلا ما يُملى عليهم، والكفاح السياسيّ هو: إيجاد الأجواء السياسيّة الممهّدة لاستلام الحكم وإعلان قيام دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة، وذلك إما بتبني حكام المسلمين أو أحاديهم للفكرة - وهذا ما لم يكن - وإما بكشف هؤلاء الحكام أمام شعوبهم وفضح سياساتهم، والتي هي انعكاسٌ لمشاريع الكافر المستعمر السياسيّة في بلاد المسلمين، ولقد ظلَّ حزبُ التحرير منذ نشأته حارساً أميناً للأمة ومصالحها ولا يزال، لا ينفكُ ساعةً من نهار ولا ليلٍ يلاحقُ الوقائع السياسيّة، يقفُ عليها وقفه الرائد الذي لا يكذبُ أهله، ويُجلِّبها على حقيقتها، ويُبصِّرُ الأمة بها وبما ستؤولُ إليه من نتائج لها ما وراءها، فمن كشفٍ لعوارِ الناصرية، إلى فضحٍ لخوارِ البعثية، ومن هتكٍ لِحُجُبِ الخيانة عن منظمة التحرير الفلسطينيّة، إلى رصدٍ لحقيقة ثورة الخميني الأميركية، وبين هذه وتلك، آلافٌ من النشرات يحملها حملة الدعوة بسواعدهم المتوضّئة، مُتحدّين بها دُولَ الكفرِ مجتمعةً، مستهترين بكلّ قوى الشرِّ، يتقدّمهم تقيّ الدين النهاني، يتلفحُ بِبرْدَتِهِ، يتنقّلُ بين حواضرِ الشام والعراق، يتوارى عن أعين القتّاتين، وعلى مثل حاله كان خلفه أبو يوسف، والذي ما غادرَ هذه الدنيا حتى وطّدَ أركانَ الدعوة فوق كلّ أرضٍ وتحت كلّ سماء، واليومَ عطاءُ الخير يقودُ مسيرةَ الخير، لا ينفكُ ساعةً عن كشفِ المستور، ويفضحُ كلّ مؤامرةٍ حتى قبلَ وقوعها .

وها هي رأسُ الكفرِ أميركا، بعد أن اهتزت مكائنها على المسرح الدوليّ، وعلى أيدي المسلمين في العراق وأفغانستان، ها هي اليومَ مُضطرّةً لتسوقُ دولاً أوروبيةً وراءها، وتوزعُ الأدوارَ على حكام المسلمين، ينفقونَ أموالهم ويجمعونَ خيلهم ورجلهم يصدونَ الناسَ عن سبيلِ الله، وسبيلِ العملِ لإقامة دولة الخلافة، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ لذلك ينبغي أن يواصلَ حملةَ الدعوة كفاحهم السياسيّ لا يفترّون، وها هي ثوراتُ الأمة المباركة قد أوجدتَ مناخاً أكثرَ ملاءمةً للعملِ السياسيّ، وها هي ثورةُ الشام المباركة لوحدها حيّرتَ دهاقنةَ السياسة، وكشفت ما كان عسيراً علينا كشفه بالأمس، ويوماً بعد يوم، يُبانُ لكلّ غيورٍ على دينه وأمنه أنّ دولةَ الخلافة وحدها دونَ سواها هي الحلُّ الجذريُّ لا لواقع المسلمين وحسب، بل وللبرية كلّها .

المحور الثالث: طلبُ النصرِ من أهلِ القوة والمنعة: بعد أن يصلَ المجتمعُ إلى حالة الجهوية لاستلام الحكم، أي بعد تحقّق الرأي العام العازفِ عن أفكارِ الكفرِ ومفاهيمه، المقبلِ على أفكارِ

مُدخِلاتُ العملِ السياسيِّ الصحيحِ ومُخرجاتُهُ

الإسلام ومفاهيمه، يأتي دورُ أهلِ القوَّةِ والمنعَةِ ليحسموا الموقفَ، ويقبلوا الطاولةَ في وجوهِ الكفارِ وصنائِعِهِم، إنَّ النُّصرةَ تعني في أبسطِ مدلولاتها: تَلَقُّفُ ثَلَّةٍ كافيةٍ من أهلِ القوَّةِ والمنعَةِ للفكرةِ المستضعفةِ بعد أن تصعدَ من بينِ حُطامِ الأفكارِ الباطلةِ إلى قمةِ هرمِ العملِ السياسيِّ. يعملون، أي أهلِ القوَّةِ والمنعَةِ، على إيصالِ الفكرةِ إلى سدةِ الحكمِ، وذلك وفقِ شروطِ أبرزها:

- أ - تبني الإسلام كاملاً غيرَ منقوص، بعقيدته وأحكامه، بفكرته وطريقته.
 - ب - الكفرُ والبراءةُ من كلِّ الأفكارِ والمشاريعِ السياسيَّةِ القادمةِ من دولِ الكفرِ وعلى رأسها أميركا.
 - ج - السمعُ والطاعةُ في العسرِ واليسرِ والمنشطِ والمكروهِ لخليفةِ المسلمين الأوَّلِ في الزمانِ الثاني.
 - د - الدقَّةُ والحرصُ الشديدينِ في التعاطي مع كلياتِ وجزئياتِ أعمالِ النصرِ.
 - هـ - الاستعدادُ المسبُّقُ في بذلِ النفسِ والنفيسِ في سبيلِ إنجاحِ الأمرِ حتى ولو أدى إلى هلاكِ النفسِ.
- إن النبيّ - صلواتُ ربي وسلامه عليه - بعد أن استوفتِ الفكرةُ حقَّها في المجتمع، أي بعد أن وصلتِ الفكرةُ إلى قمةِ هرمِ العملِ السياسيِّ، حيثُ ظهرتِ قريشُ على دينِ الله، وتحجَّرتِ المجتمعُ المكيُّ في وجهِ الفكرةِ، أخذَ عليه الصلاةُ والسلامُ يبحثُ عن قوَّةٍ ومنعَةٍ تحتضنُ الفكرةَ وتحفُّها، فكان ما كانَ من أعمالِ طلبِ النصرِ، حتى استقرَّ الأمرُ عندَ الأوسِ والخزرجِ، لينالوا سابقتهُ سبقوا بشرفها كثيرين، يومَ أن قالَ قائلُهُم: يا رسولَ الله، اشترطَ لربِّكَ ولنفسِكَ ما تشاء، فقال: اشترطُ لربي أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، واشترطُ لنفسِي أن تنصروني وتمنعوني مما تمنعونُ منه أولادكم ونساءكم وأزركم، ولكم الجنة .

نعم حتى تصلَ الفكرةُ إلى سدةِ الحكمِ ، ينبغي أن تنسجمَ مدخِلاتُ العملِ السياسيِّ مع مخرجاتِهِ، وكلُّ ذلك يكمنُ في السيرِ الصحيحِ على بصيرةٍ في العملِ السياسيِّ، وهذا يعني وجوبَ الالتزامِ بأحكامِ الفكرةِ والطريقةِ في كلِّ مرحلةٍ، إذ إنَّ كلَّ مرحلةٍ تُفضي إلى الأخرى. وبمقدارِ ما يكونُ النجاحُ في حُسْنِ بناءِ جِسمِ الحزبِ وديمومةِ كيانِهِ يكونُ النجاحُ في تبليغِ الدعوةِ بشكلٍ قويٍّ مؤثِّرٍ. والنجاحُ في الأمرينِ يُفضي إلى النجاحِ بإذنِ الله في الوصولِ إلى أهلِ القوَّةِ والمنعَةِ، وترجمتهُ ذلك عملياً: أن يحملَ حاملُ الدعوةِ فكرتهُ مؤمناً بها، صادقاً في حملها، لا يبتغي مغنماً من أحد، يقتحمُ الأهوالَ ويجتازُ الخطوبَ، مؤمناً بربهِ متوكلاً عليه، مُتأسياً برسوله في صبرِهِ وثباتِهِ وحلمِهِ وأنانيتهِ، مطيعاً لأمرِهِ مُنضبطاً في جِسمِ تكتلِهِ، يسيرُ والخلافةُ تلوحُ أمامَهُ، يُحدثُ الناسَ عن فتحِ روما كما لو كانتِ مفاتيحُها في يدهِ، ويَقْصُ عليهم معركةَ دخولِ البيتِ الأبيضِ كما لو كانَ يتبخترُ في فِنايهِ، ولم يبقَ إلا أن أقول: اللهم استعملنا في طاعتِكَ وتبَّتْنا في حملِ دعوتِكَ. اللهم أكرمنا بنصرِ حبسْتَهُ عن أقوامٍ سبقونا في العلمِ والفضلِ. اللهم إنَّ زرعَ الباطلِ قد تَمَّ وأنَّ حصادَهُ، فَيَسِّرْ له يداً في الحقِّ حاصدة. وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

الحلقة - ٣ -

جائزة الإيمان والتقوى

حمد طيب - بيت المقدس

لقد كانت مرحلة صعبة وشاقة من المكابدة والمقارعة والتحدي والتصدي والصبر، وتحمل الأذى، ومقارعة الظالمين بكافة ألوانهم وأشكالهم؛ من القريب والبعيد، ومن المقاطعة والمحاصرة في شعب بني طالب أياماً وشهوراً وسنوات، ومن التهجير خارج أرض مكة (الوطن) بسبب الظلم وقسوة الظروف والأذى... وبعد كل هذه الألوان الشاقة والظروف العصيبة، وبعد الصبر والمصابرة والمرابطة على الحق؛ سنوات تلو سنوات جاءت الجائزة الربانية العظيمة: (تمكين واستخلاف) في الأرض، وطمأنينة وأمن وعزة ورفعته وتكريم عظيم!!...

لقد من الله عز وجل على الذين استضعفوا وعذبوا في الأرض، وحملوا هذه الأمانة التي تنوء بحملها الجبال الراسيات؛ من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه، فجعلهم أمة للهدى في الأرض، بداية في أرض المدينة المنورة، حيث مكّن لهم المولى عزّ وجلّ بعد هذه المرحلة الإيمانية الشاقة العصيبة، وبدأت تنزل عليهم آيات الهدى والرشاد المدنيّة (آيات الأحكام)، وأصبحت حياتهم في ظل دولة الإسلام الجديدة، بعد استضعاف وتشرد وقلّة في الأموال والأنفس، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ النَّاسُ فَءَاوِنَكُمْ وَيَأْتِكُمْ بِبَصْرِهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦٦).

لقد كانت أولى الخطوات العملية بعد التمكين والاستخلاف؛ أن وطّد الرسول صلى الله عليه وسلم أركان هذا المجتمع الجديد المتميز، في أرض المدينة، فأخى بين المسلمين، ورسم سياسة الدولة ووجهتها الداخلية؛ فكتب المواعدة بين المسلمين فيما بينهم، وبين المسلمين وغيرهم.. ومما جاء في نصوص هذه المواعدة العظيمة: «... هذا كتاب من محمد النبي، بين المؤمنين

من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس... المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين... وإن المؤمنين لا يتكون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف؛ في فداء أو عقل، وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه... وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم... ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس... وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصرة والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم. وإن سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم... وإن الله جار لمن برّ واتقى، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم». انتهى نص الوثيقة.

وبعد توطيد أركان المجتمع المدني تنزّلت آيات الجهاد، وحُمل هذا الدين إلى الشعوب والأمم الأخرى خارج المدينة، فصار الفتح العظيم بداية لمكة المكرمة (أم القرى)، حيث منّ الله عزّ وجلّ على هذه الفئة التي كانت مستضعفة بهذا الفتح الربّاني العظيم، حيث صار البيت الحرام تحت سلطان المسلمين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَمُتَّعِنَا بِعَمَلِهِ، عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ ... ثم اتسعت دائرة الفتح لتشمل جزيرة العرب كاملة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تتابع الفتح الرباني إلى خارج جزيرة العرب إلى فارس والروم في عهد الراشدين؛ أي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما...

لقد فتحت فارس والروم في عهد هؤلاء الصحابة الأبرار الأخيار من أهل الصبر والإيمان والثبات على الحق، وفتحت أوابين كسرى في الحيرة، وقصور قيصر في الشام، وجيء إلى عمر رضي الله عنه بسواري كسرى وتاجه، فلما رآهما بكى رضي الله عنه من شدة الفرح وقال: أين سراقه بن مالك؟ فوضع التاج على رأسه والأساور في يديه، وقال هذه بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بشرك بها وأنت في الكفر والضلال، حين كنت تريد أن تنال جائزة مكة إذا قتلت الرسول عليه الصلاة والسلام وجئت برأسه، لقد أبدلك الله بذلك عزاً عظيماً. فقال سراقه رضي الله عنه: لقد تبرّعتُ بهما يا خليفة المسلمين إلى بيت مال المسلمين، وإني أرضى بالعزة في تحقّق بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم لي!!!...

لقد أصبح هؤلاء الأخيار الأبرار من الصحابة الكرام خير أمة أخرجت للناس على وجه الأرض، وصارت أعز أمة وأقوى أمة في الوجود؛ على هدى ونور وهداية واستقامة من ربها تعالى...

لقد أكرمهم رب العزة جل جلاله بفتحين عظيمين، لا يتأتيان إلا لأصحاب الإيمان والتقوى والصلاح هما: (فتح البيت الحرام) في مكة المكرمة، وفتح المسجد الأقصى المبارك في بيت المقدس... فتحققت في عهدهم البشارتان في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾، وفي قوله جل ثناؤه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ، مِنْ ءَابِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾.

إن هذا الشرف العظيم لم ينته عند عهد الصحابة الأبرار، بل إن هذه الأمة الكريمة موعودة به - في كل زمان - إن هي سارت على نفس الخطى والنهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة الكريمة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَكَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَوَنَّهُم النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

فإذا صدقت طائفة من هذه الأمة الكريمة، وتحققت فيهم نفس الصفات التي تحققت في السلف الأول من هذه الأمة، فإنها ستعود وتسود وتعز بإذنه تعالى، وستصبح صاحبة دولة وسلطان وتكون خير أمة أخرجت للناس تماماً كما كان سلفها!!!...

وقد بدأت هذه الأمة -والحمد لله- تعود إلى رشدتها ورشادها، تعود إلى دينها، وتنادي بتطبيق شرعة ربها في كل بلاد المسلمين، لذلك صارت الحرب عليها بلا هوادة تماماً كما كانت على عهد الصحابة الأبرار...

لقد أثبتت هذه الأمة الكريمة - في أكثر من مناسبة - أنها تريد كلمة الله عز وجل، تريد تحكيم شرعة ربها: في مصر وتونس واليمن والشام وباكستان وتركيا وجمهوريات روسيا

وإندونيسيا.. حتى المسلمون في بلاد الغرب - وسط الفساد والانحلال الأخلاقي والهبوط الفكري - صاروا ينادون بإعادة حكم الإسلام!!..

لذلك جُنَّ جنون الكفار (على رأسهم اليهود والنصارى الصليبيون) فصاروا يحاربون هذا الدين حرباً شرسة لا هوادة فيها، وبكافة ألوان الحرب؛ الفكرية والدموية والسياسية والتضليلية. فأخذوا يضلُّون المسلمين بكذبة الديمقراطية والدولة المدنية، ويزجُّون ببعض الأحزاب المضللة، تنفذ هذه المخططات الإجرامية؛ في تونس وتركيا وباكستان.. وفي بلاد أخرى استخدموا الحرب الدموية لإبعاد الناس عن المشروع الحضاري الإسلامي؛ كما هو حاصل في الشام.

وواكب كل هذا الإجرام حرب دموية شاملة سمَّها الغرب الكافر المجرم كذباً وتضليلاً وافتراءً؛ (الحرب على الإرهاب)، وحربٌ تضليلية حاقدة، سخَّروا لها بعض الجماعات الجهادية من المسلمين، ليمثلوا الدور المطلوب في تشويه صورة الإسلام المشرق الوضاء. وحربٌ من الصدِّ عن دين الله؛ كما هو حاصل في دول أوروبا والصين وروسيا هذه الأيام؛ حيث يمنعون معظم شعارات الإسلام؛ كالزِّيِّ الشرعي والمآذن والأذان وغير ذلك!!..

إننا نطمئن أمة الإسلام بأن هذه الحرب هي امتحان وابتلاء، وتمحيص واختيار حتى يتبين الذين صدقوا وثبتوا على الحق والإيمان، ويعلم الله الكاذبين المنافقين؛ ممن يتاجرون بالإسلام وبدماء شعوبهم وأمتهم مقابل متاع للدنيا زائل قليل، قال تعالى: ﴿الْم ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ۚ ۝ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾.

إن بعد هذا الابتلاء جائزة عظيمة؛ هي جائزة الإيمان والتقوى والثبات على الحق، جائزة الصحابة الأبرار، ومن جاء بعدهم من التابعين الأخيار... ولن تجد لسنة الله تبديلاً.. ولن تجد لسنة الله تحويلاً... قال تعالى: ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۚ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ۝﴾. ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ۝﴾. ﴿٤٤﴾.

لقد أرادت أميركا وحلفاؤها وأحلافها في الأرض قاطبة بشكل عام، وفي بلاد الشام ومحيطها بشكل خاص، أن يُسقطوا المشروع الإسلامي لإعادة حكم الإسلام إلى أرض الشام، واستخدمت أميركا كل ما أوتيت من قوة، ومن سياسات تضليلية، ومن شرعة دولية، ومن لقاءات واجتماعات وقممٍ

دولية؛ في تركيا ولندن وموسكو والمغرب وغيرها؛ لكنها، بالرغم من كل ذلك، لم تستطع أن تسكت صوت الإسلام في أرض الشام.. وظل هذا الصوت يقضُّ مضجعها، ويزداد نوره ويقوى يوماً بعد يوم...

إن أمة الإسلام على موعد مع نصر الله عز وجل، ولن تزيدنا هذه الحرب الشرسة، وهذه المؤامرات الكبيرة بإذن الله تعالى إلا ثباتاً وتصميماً على تحقيق وعد ربها جلّ جلاله، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَى تَجَرُّقِ نَجِيحِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُحْمَهُدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾... وبشارة رسولها عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة: «إن الله زوى (أي جمع وضم) لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها» رواه مسلم في صحيحه»، وقال نبي الرحمة والملمحة: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين؛ بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر» رواه ابن حبان في صحيحه. وروى أبو قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟، فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المدينتين تفتح أولاً: أقسطنطينية أو رومية؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مدينة هرقل تفتح أولاً؛ يعني قسطنطينية» رواه أحمد في مسنده.

لقد بدأت هذه القوى الشريرة الكافرة، وعلى رأسها سيدة الكفر والإرهاب أميركا، تخسر في كل يوم من اندفاعها في حرب الإسلام، وتخسر كذلك من سمعتها بسبب أكاذيبها، وأصبحت أيضاً تعيش في دوامة السقوط والتردي والانحدار الفكري والاقتصادي، وأصبحت هذه القوى الشريرة العملاقة على حافة الانهيار والانهدام الكامل، وهي تنتظر إعلان هذا الأمر على الملأ؛ ليشاهد العالم كله سقوط هذا المبدأ الحيواني المتغطرس الشرير. وفي المقابل فإن أمة الإسلام تتألق يوماً بعد يوم، وتزداد تمسكاً بمبادئها وعملاً ودؤباً لإعادته إلى أرض الواقع.

لقد خرجت الأمة تتحدى وتتصدى الظالمين من عملاء الاستعمار (الحكام الظلمة)، وتطردهم شرّ طردة من أرضها، وصارت تسعى جاهدة لوضع شرعة ربها موضع التطبيق،

فخرجت في أرض مصر تهتف بعودة الشريعة، وتجعل جمعاً مباركة تصلي فيها لربها عز وجل، ثم تجتمع فيها تحت اسم عظيم هو (جمعة تطبيق الشريعة)، وخرجت كذلك في تونس الخضراء تسير في مسيرات مليونية تطالب أيضاً بتطبيق الشريعة وتهتف بذلك. وفي أرض الشام عقر دار الإيمان، ما زالت الحناجر تهتف في الليل والنهار (الأمّة تريد تطبيق الإسلام.. الأمّة تريد خلافة من جديد) وتحطّمت على صخرة هذه الأمّة الصلبة العصية كل سياسات الاستعمار بكافة مسمياته، تحطّمت مؤامرة هؤلاء الكفرة، ولم تفلح في ثني الأمّة عن الصدع بهذا الصوت العظيم النوراني الرباني، والسعي لإيجاده في أرض الواقع...

إن هذه الشعوب بهذه المواصفات الربانية السامية العالية، سوف تنال جائزة الإيمان والتقوى عما قريب بإذنه تعالى كما ناله سلفها الصالح.. ليرتفع علم الخلافة فوق مآذن الشام، ومآذن تونس ومصر، ولتزحف الجموع المكبرة نحو المسجد الأقصى المبارك، وترفع علم الخلافة فوق مآذنه الطاهرة المقدسة، ثم تنطلق هذه الأمّة من جديد - كما انطلق سلفها الصالح - نحو روما مهد الفاتيكان لترفع علم الخلافة فوق مقر البابا... لينتشر هذا النور العظيم بعد ذلك إلى كافة ربوع الأرض؛ ليخلص البشرية من شقائها وتعاستها وتخبطها بين ظلم المبادئ الأرضية السقيمة، وتعود أمة الإسلام كما بدأت، وكما كانت خير أمة أخرجت للناس كما وصفها ربها سبحانه بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۗ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٤﴾﴾، وقوله تبارك اسمه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «بشر هذه الأمّة بالسنة والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب» أخرجهم أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه...

نسأله تعالى أن يكرم هذه الأمّة الكريمة بالرفعة والسنة والتمكين في الأرض عما قريب ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَن يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾.

بسم الله الرحمن الرحيم

رداً على شطحات الريسوني: الخلافة من الضروريات لحفظ الشريعة ومقاصدها ربط المقاصد بالوسائل أو الفكرة بالطريقة عند الشاطبي (٤)

محمود عبد الكريم حسن

تبين فيما سبق افتراءات الدكتور الريسوني بإنكاره الأدلة الثابتة على وجوب الخلافة، وبتهوينه من شأنها وعدّها من الوسائل لا المقاصد، كما تبين تطفّله على علم المقاصد، وهو ما سيزداد بياناً في هذه المقالة الأخيرة في هذا الموضوع هنا.

أنتقل إلى مسألة أخرى من صميم منهج الشاطبي شيخ المقاصد وإمامها، كررها كثيراً في «موافقاته»، ومع ذلك نرى كثيرين من زاعمي الاستناد إلى منهج المقاصد يجهلون ما ويخالفونها، وفي مقدمة هؤلاء الدكتور الريسوني الذي رأيناه ينقضها نقضاً صارخاً وهو يزعم علم المقاصد ويتصدر فيه. هذه المسألة هي: هل يجوز تغيير الأحكام الشرعية أو مخالفتها بحجة مقاصدها؟ وقد أوردت تحريفات الريسوني فيما سبق بقوله إن الله لم يفرض علينا أن نقيم الخلافة، وإنه «لو اختلف لفظ الخلافة والخليفة من حياة المسلمين إلى الأبد ما نقص ذلك من دينهم مثقال ذرة ولا أصغر منها، ولكن إذا اختلف العدل واختلفت الشورى وشرعية الحكم ليوم واحد فتلك طامة كبرى».

وهذا القول من الريسوني دعوة صريحة وقحة إلى محاربة الخلافة ودعاتها، وتحريف للإسلام بزعمه أن المهم هو العدل والشورى كيفما كان ذلك، وبأي طريق أتى، بينما حقيقة منهج المقاصد على النقيض من هذا تماماً كما تبين وكما سيزداد بياناً. فعلى سبيل المثال، يقرر الشاطبي أن الجهاد ضروري وأن الوالي فيه ضروري، والمعنى أن الخليفة ضروري، وأما العدالة في الخليفة - والعدالة تتضمن معنى العدل - فهي من المكملات أو التحسينيات، أي هي

كالفرع الخادم للضروري والذي هو ليس ركنًا فيه. ويذهب الشاطبي إلى أنه إذا عُدَّ الوالي فقد عُدَّت العدالة وعُدَّ كل حكم متعلقٍ بالوالي، بينما إذا عدت العدالة في الوالي فقد عُدَّ وصفٌ فيه، والموصوف أصل للصفة، وإذا عُدَّ الموصوف عدت الصفة، بينما إذا عدت الصفة يبقى الموصوف وإن اختلف. ولذلك أمر الشارع بالمحافظة على الأصول وإن فقدت منها بعض الفروع، إذ لا يصح أن يرجع الفرع على الأصل بالإبطال، بينما يصح أن يبقى الأصل وإن انتقضت بعض فروعه. وفيما يلي مثال من أقوال الشاطبي الصريحة في ذلك: «فالجهد ضروري والوالي فيه ضروري، والعدالة فيه مكتملة للضرورة، والمكمل إذا عاد للأصل بالإبطال لم يُعتبر، ولذلك جاء الأمر بالجهاد مع ولاة الجور عن النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك ما جاء من الأمر بالصلاة خلف الولاة السوء فإن في ترك ذلك ترك سنة الجماعة، والجماعة من شعائر الدين المطلوبة، والعدالة مكتملة لذلك المطلوب، ولا يبطل الأصل بالتكملة»، وهذا نقض صريح جليٌّ من الشاطبي للريسوني في النص الذي نقلته عنه أعلاه الذي يقول فيه إن المهم العدل والشورى ولو اختفت الخلافة...؛ لذلك أسأل مرةً أخرى: هل فهمَ هذا (العالم المقاصدي) فكرة المقاصد؟ وجرياً على نفس المنهج الذي يقرره الشاطبي، فإن مقاصد الشريعة إنما مصدرها الشريعة، أي نصوص الشريعة وأحكامها، فإذا كانت مقاصد الشريعة أصولاً شرعية، فالنصوص والأحكام الشرعية هي أصول تلك الأصول، فلا يصح أن تُلغى الأحكام الشرعية بحجة مقاصدها، كما لا يصح أن تُلغى الشريعة مقاصدها، إذ هي لم تكن مقاصد إلا بعد أن قررتها الشريعة بالاستقراء.

لذلك فإن ما يشطح إليه الريسوني وبعض المُحرِّفة من أن ما كان معدوداً من الوسائل فيمكن إلغاؤه ورفع من الشريعة ولن ينقص ذلك من الدين شيئاً، فهو افتراء لا أصل له في الدين ولا في منهج الشاطبي ولا في منهج المقاصد، وإنما هو أهواء أو ما هو أشنع من ذلك.

والشاطبي يذهب إلى تلازم أو ارتباط تام بين المقصد والوسيلة التي تفضي إليه بحيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر. فالمقصد حكم شرعي وغاية شرعية قررتها الشريعة، والوسيلة كذلك حكم شرعي وكيفية شرعية قررتها الشريعة، فكلاهما ثابتان بالشرع. وما قررته الشريعة كوسيلة أو كيفية معينة لأجل مقصد أو هدف معين، فلا يصح شرعاً أن يُتخذ لتحقيق ذلك المقصد إلا هذه الوسيلة، كما لا يصح اتخاذ هذه الوسيلة لتحقيق أي مقصد أو هدف إلا ذلك المقصد أو الهدف، هذا هو التلازم أو الارتباط بين المقصد والوسيلة عند الشاطبي أو بين الفكرة والطريقة.

يشير الشاطبي إلى هذا الأمر أكثر من مرة، ويبحثه بالتفصيل في بحثه للأسباب والمسببات، على اعتبار أن السبب إنما سُمي سبباً لأنه يؤدي إلى أمر هو نتيجة له أو مسبب له، والمسبب إنما

سُمي مُسَبَّباً لأنه لا يُتوصل إليه إلا بطريقةٍ أو وسيلةٍ أو بسبب. يقول: «الأسباب من حيث هي أسباب شرعية وُضعت لمسببات إنما شُرعت لتحصيل مسبباتها، وهي المصالح المجتنبة أو المصالح المستدفعة»، ويقول: «والمسببات بالنظر إلى أسبابها ضربان:

أحدهما: ما شُرعت الأسباب لأجلها...

والثاني: ما سوى ذلك مما يُعلم أو يُظنُّ أن الأسباب لم تُشرع لها، أو:

(والثالث): لا يُعلم ولا يُظنُّ أنها شُرعت لها أو لم تُشرع. فتجيء الأقسام ثلاثة:

أحدها: ما يُعلم أو يُظنُّ أن السبب شُرِع لأجله، فتسبَّب المتسبَّب فيه صحيحٌ لأنه أتى الأمر من بابه وتوصل إليه بما أذن الشارع في التوسُّل به إلى ما أذن أيضاً في التوصل إليه...

والثاني: ما يُعلم أو يُظنُّ أن السبب لم يُشرع لأجله ابتداءً، فالدليل يقتضي أن ذلك التسبَّب غيرٌ صحيح؛ لأن السبب لم يُشرع أولاً لهذا المُسَبَّب المفروض، وإذا لم يُشرع له فلا يتسبب عنه حكمته في جلب مصلحة ولا دفع مفسدةٍ بالنسبة إلى ما قُصد بالسبب فهو إذاً باطل، هذا وجه. ووجهٌ ثانٍ: وهو أنَّ هذا السبب بالنسبة إلى هذا المقصود المفروض غيرٌ مشروع، فصار كالسبب الذي لم يُشرع أصلاً، وإذا كان التسبَّب غير المشروع أصلاً لا يصح، فكذلك ما شُرِع إذا أُخذ لما لم يُشرع له. ووجهٌ ثالث: إن كون الشارع لم يشرع هذا السبب لهذا المسبَّب المعين دليلٌ على أن في ذلك التسبب مفسدةٌ لا مصلحةً، أو أن المصلحة المشروع لها السبب منتفيةٌ بذلك المسبَّب، فيصير السبب بالنسبة إليه عبثاً» ثم قال:

والثالث: «هو أن يقصد بالسبب مسبباً لا يُعلم ولا يُظنُّ أنه مقصودٌ للشارع أو غير مقصودٍ له، وهذا موضع نظير وهو محل إشكالٍ واشتباه، وذلك أنّا لو تسببنا لأمكن أن يكون ذلك السبب غيرَ موضوع لهذا المُسَبَّب المفروض، كما أنه يمكن أن يكون موضوعاً له ولغيره، فعلى الأول يكون التسبب غير مشروع، وعلى الثاني يكون مشروعاً، وإذا دار العمل بين أن يكون مشروعاً أو غير مشروع كان الإقدام على التسبب غير مشروع». ثم قال: إن السبب «إنما فُرض مشروعاً بالنسبة إلى شيءٍ معيّنٍ مفروضٍ معلومٍ لا مطلقاً»، وقال: «بل علمنا أن كثيراً من الأسباب شُرعت لأمر تنشأ عنها، ولم تُشرع لأمر وإن كانت تنشأ عنها وتترتب عليها... فلما علمنا أنه مشروعٌ لأمرٍ مخصوصةٍ، كان ما جُهل كونه مشروعاً له مجهولَ الحكم، فلا تصح مشروعية الإقدام حتى يُعرف الحكم»، ثم قال: «فإذا ثبت هذا وتبين تسبُّب لا ندري أهو مما قصده الشارع بالتسبب المشروع أم مما لم يقصده، وجب التوقف حتى يُعرف الحكم فيه...»

هذه النصوص للشاطبي - وغيرها كثير - يجب على مريدي فهم المقاصد ومنهج الشاطبي فيها أن يُنعموا النظر فيها وأن يدرسوها بتأن، وليس أن يقفزوا عليها ثم يلقوا علينا قصورهم وتناقضاتهم، كدأب كثيرين من المتشدقين بمقاصد الشريعة، بل ومن محققي كتاب الموافقات. وسأسهل النصوص المذكورة أعلاه بالمثل:

يقول الشاطبي إن تحقيق الغاية الشرعية لا يصح إلا بالطريقة الشرعية التي وضعها الشارع طريقة لها. وكذلك إذا جاء الشرع بطريقة معينة لتحقيق غاية معينة، فلا يصح السعي لتحقيق تلك الغاية إلا بهذه الطريقة. ويضيف الشاطبي أنه لا يصح أن تُتخذ تلك الطريقة أو أن يُتوسل بها لتحقيق غاية أخرى ولو كانت تلك الغاية مقصودةً شرعاً؛ وذلك لأن تلك الطريقة أو الوسيلة إنما شرعت لأجل تلك الغاية أو المقصد، ولم تشرع لكل مقصد. فالشارع وضع حكم قطع اليد لمنع السرقة، فلا يصح أن يُتخذ غير قطع اليد لهذه الغاية، كما أنه لا يجوز أن يُتخذ قطع اليد لأي مقصد آخر كمنع الردة مثلاً أو منع الزنى. حتى وإن كانت الطريقة أو الوسيلة الأخرى أبلغ في الزجر، كأن يوضع القتل أو مصادرة الأملاك كلها أو الأمران معاً بدلاً من القطع أو معه.

وكذلك يُقال في الخلافة فهي طريقة أو وسيلة لتطبيق الإسلام كله، فلا يجوز اتخاذ طريقة أخرى لأجل ذلك - على فرض وجودها - كما لا يجوز اتخاذ الخلافة لأي أمر آخر غير تطبيق الإسلام. ولذلك فلا يعد الإسلام مطبقاً ما لم تكن الخلافة هي التي تطبقه.

هذا ما ينص عليه نهج المقاصد والوسائل، وهو قبل ذلك ما ينص عليه الشرع لجهة حرمة تحريف أو تبديل أي حكم شرعي، سواء وُضع في خاتمة مقاصد أو وسائل أو غير ذلك، ومهما اصطُح عليه من أسماء. ولم تكن أصلاً بحاجة لولوج هذا المنهج من أساسه، لولا أن بعض المحرِّفة تذرعو به واتخذوه وسيلةً لمقاصدهم.

وثمة مداخل أخرى - وعلى نهج الشاطبي نفسه - للرد على هذه الشذمة أو الشراذم من الذين يتذرعون بالمقاصد والوسائل لمواجهة صحوة الأمة على دينها، وليضلُّوها عن التوجه الصحيح نحو العمل الشرعي المنتج لإقامة دولة الخلافة بعد إذ لمستته، وليحرِّفوا أحكام الإسلام ويقدموا أفكار الكفر من ديمقراطية وغيرها بلبوس إسلامي مخادع، ومن هذه المداخل أحد أهم المقاصد عند الشاطبي وأوسعها بحثاً عنده، وهو ما سماه قصد التعبد والامتثال أو قصد الشارع في دخول المكلف تحت أحكام الشريعة. ومفاده باختصار أن قصد التعبد والامتثال لأمر الشارع موجود في كل أحكام الشريعة، أي في المقاصد وفي الوسائل، إذ كلها أحكام شرعية

نتعبد الله بها، والأحكام التي جعلها الشارع طريقاً إلى المقاصد لا يجوز إلغاؤها بحجة أن المهم تحقيق القصد أو المعنى. فقصد الشارع في أن يعبده المكلف موجود في كل الأحكام، سواء أكانت من العبادات أم من العادات، قال الشاطبي: «إن كل حكم شرعي ليس بخالٍ عن حق الله تعالى وهو جهة التعبد»، ويقول بخصوص ما جعله الشرع سبباً لمسبب أي ما أريد لغيره أو ما كان وسيلة لمقصد إن هذا ثابت لا يتغير ولا يرتفع ولو تغير الزمان أو تقدمت الاكتشافات، فيقول إن من خصائص الشريعة: «الثبوت من غير زوال؛ فلذلك لا تجد فيها بعد كمالها نسخاً، ولا تخصيصاً لعمومها، ولا تقييداً لإطلاقها، ولا رفعاً لحكم من أحكامها، لا بحسب عموم المكلفين، ولا بحسب خصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان، ولا حال دون حال، بل ما أثبت سبباً فهو سببٌ أبداً لا يرتفع، وما كان شرطاً فهو أبداً شرط، وما كان واجباً فهو واجب أبداً، أو مندوباً فمندوب، وهكذا جميع الأحكام، فلا زوال لها ولا تبدل، ولو فرض بقاء التكليف إلى غير نهاية لكانت أحكامها كذلك».

أعتقد أن في ما مرَّ كفايةً لرد كل ما افتراه الدكتور أحمد الـريسوني بهدف إنكار وجوب الخلافة، ولبيان أنه بتذره بالمقاصد يهرف بما لا يعرف، وكذلك لبيان أن الخلافة من الضروريات وأنها هي الطريقة أو الوسيلة الشرعية والوحيدة لتطبيق الإسلام، وأنها في حال غيابها يصبح إيجادها هو المقصد الأهم والأعلى فوق كل الضروريات، إذ بغيابها تضيع وتختفي سائر المقاصد الضرورية وكذلك الحاجة والتحسينية.

وأختم بنصيحة للريسوني ولكل خائض في مقاصد الشريعة وفي «موافقات» الشاطبي، ولكل مهتم بهذا الموضوع أن يعمل بنصيحة الشاطبي، فلقد توقع - رحمه الله - وجود هؤلاء المتطفلين فحذرهم بقوله: «وَمِنْ هُنَا لَا يَسْمَحُ لِلنَّاطِرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ نَظْرَ مُفِيدٍ أَوْ مُسْتَفِيدٍ؛ حَتَّى يَكُونَ رِيَّانَ مَنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، أُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، مَنْقُولِهَا وَمَعْقُولِهَا، غَيْرَ مُخَلِّدٍ إِلَى التَّقْلِيدِ وَالتَّعَصُّبِ لِلْمَذْهَبِ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ هَكَذَا؛ خِيفَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْقَلِبَ عَلَيْهِ مَا أَوْدَعَ فِيهِ فِتْنَةً بِالْعَرَضِ، وَإِنْ كَانَ حِكْمَةً بِالذَّاتِ» وهذا ما حصل مع الدكتور الـريسوني، فذهب يعبث بالشريعة ويلغي أحكامها متبجهاً بمقاصدها، وكأنه بعد إلغاء الشريعة سيبقى ثم مقاصد.

اللهم أعننا على اجتناب الأهواء، وعلى أن نكون من العاملين الممثلين، ومن المؤيدين بنصرك وبإقامة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، والحمد لله رب العالمين. □

[انتهى].

أخبار المسلمين في العالم

مصطفى زهراني: إيران تتلقى إشارات مستمرة للعمل مع أميركا

كشفت المدير العام لمكتب الدراسات السياسية والدولية بوزارة الخارجية الإيرانية مصطفى زهراني عن تلقي بلاده إشارات مستمرة من أميركا للعمل معها حول مختلف قضايا المنطقة. وقال زهراني، إن نموذجاً جديداً قد تبلور في أميركا بعد أن أدركت أنها بحاجة إلى دور إيران في مناطق مختلفة منها العراق وسوريا لذا فإن «إشارات مستمرة تصلنا تفيد بأن أميركا تريد العمل مع إيران حول قضايا المنطقة».

الوعمي: كلام زهراني يمكن أن يكون صحيحاً على الصعيد الدبلوماسي العلني، حيث إن التنسيق بين الطرفين ابتداءً منذ استلام الخميني للحكم، وظلت العلاقات المخبرائية قائمة بينهما منذ ذلك الوقت على أعلى مستوى وفي كافة قضايا المنطقة. □

١٠ آلاف جندي من التحالف الخليجي في اليمن

في ظل تحضيرات عسكرية متسارعة لبدء المعركة الفاصلة ضد مسلحي جماعة الحوثيين والقوات الموالية لها في مأرب والجوف، أكدت مصادر عسكرية يمنية أن قوة قطرية برية تضم ألف جندي تدعمهم عشرات المدرعات والآليات الثقيلة وصلت إلى مأرب للمشاركة في المعركة المرتقبة إلى جانب القوات السعودية والإماراتية والبحرينية والقوات اليمنية الموالية لعبد ربه منصور هادي. وبث الموقع الإلكتروني لقناة «الجزيرة»، أن القوة القطرية تواكبها ثلاثون طائرة هليكوبتر من طراز «أباتشي». وأفادت القناة أن عدد جنود التحالف في اليمن بلغ عشرة آلاف. □

«الجبير»: المشكلة السورية تتمثل في الأسد. وأي حل يجب أن يضمن تنحيه

أكد وزير الخارجية السعودي، عادل الجبير، أن مشكلة سوريا في بشار الأسد، وأي حل لا بد أن يضمن تنحيه عن السلطة. وجاء ذلك في مؤتمر صحفي عقده «الجبير» في واشنطن، تحدث فيه عن القمة التي جمعت الملك سلمان بالرئيس الأميركي أوباما، وقال إنها دعت لإيجاد حل سياسي في سوريا يضمن رحيل الأسد. وحمل «الجبير» نظام الأسد مسؤولية ظهور تنظيم الدولة، كما حمله مسؤولية مقتل الآلاف من السوريين، وكذلك تشريد ملايين اللاجئين. وكان وزير الخارجية السعودي شدد في وقت سابق على ضرورة رحيل نظام الأسد، سواء بالحل السياسي أو الطريق العسكري. □

موقف واشنطن: معاربة الإرهاب بالتوازي مع التسوية السياسية

ذكر الكاتب والإعلامي جورج سمعان أن الساحة التي أخلت للدب الروسي طويلاً من أجل إنجاز اختراق في الملف السوري لم تعد تتيح له حرية الحركة كما في السابق،

حيث برزت إلى الواجهة مجموعة من المستجدات والتطورات الضاغطة. أولى تلك المستجدات هي تخلص واشنطن من ضغط الاتفاق النووي واحتمال رفض الكونغرس له، مما دفع القضية السورية لتكون على رأس أولويات الإدارة الأميركية. كما أن واشنطن غيرت من مقاربتها لمعالجة الوضع في سوريا، وأصبح مسار مكافحة «الإرهاب» يسير بالتوازي مع مسار التسوية السياسية. □

مسؤولون أميركيون: روسيا تنشئ قاعدة عسكرية بالساحل السوري

أكد مسؤولون أميركيون، أن روسيا بصدد إنشاء قاعدة جوية متقدمة في اللاذقية، المعقل الرئيسي لبشار الأسد. وقال المسؤولون لوكالة «فرانس برس»: إن ثلاث طائرات عسكرية روسية على الأقل هبطت في مطار بمحافظة اللاذقية، منها طائرتا شحن عملاقتان من طراز أنتونوف ١٢٤ كوندور وثالثة لنقل الأفراد. وأكدت المصادر ذاتها أن الروس أنشؤوا في هذه المنطقة مباني مؤقتة، يمكنها إيواء مئات الأشخاص، إضافة إلى تجهيزات مطار، مضيئة أن «كل هذا يؤشر إلى إقامة قاعدة جوية متقدمة».

الوعمي: هل تقوم روسيا بهذا لفرض التسوية المزمعة بالقوة المباشرة، أم لحماية ما تبقى من مناطق نفوذ وسلطة الأسد الذي بات يترنح ويخشى سقوطه؟ أم لكليهما؟ □

الملك سلمان يوجه انتقادات لاذعة للأداء الأميركي في سوريا

طالب العاهل السعودي الملك سلمان بن عبد العزيز الإدارة الأميركية بتوضيح سبب بطء وسوء تدريب وتسليح دفعة الثوار السوريين التي تشرف الولايات المتحدة الأميركية على تدريبهم وتسليحهم. جاء ذلك في مقال لمجلة الفورين بوليسي كشفت فيه عن محادثات تمهيدية سبقت القمة السعودية-الأميركية قال فيها الملك سلمان: «نريد أن نعرف لماذا مهمة الولايات المتحدة في التدريب والتسليح تسير ببطء شديد هناك. ونريد أن نناقش طريقة أكثر قوة»، ويشار إلى أن العلاقات السعودية الأميركية قد وُصفت «بالصعبة» على حد وصف نفس المجلة منذ «قرار اللحظة الأخيرة» الذي اتخذته إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما بامتناعه عن تنفيذ عمل عسكري ضد نظام الأسد عام ٢٠١٣م حتى بعد تجاوز حكومة دمشق «الخط الأحمر» الذي حدده أوباما في حينها في استخدام نظام الأسد للسلاح الكيميائي ضد شعبه. □

جبهة النصرة تتبرأ من نعت «بترايوس» لقاتليها بالمعتدين

تحت عنوان (بترايوس والمعتدين في جبهة النصرة) كتب أبو عبدالله الشامي - المسؤول الشرعي في جبهة النصرة بياناً - يقول فيه: ...طلع علينا قبل أيام ديفيد بترايوس بتصريح ينصح فيه إدارته بالاعتماد على من أسماهم «المعتدين من جبهة النصرة

أخبار المسلمين في العالم

في حرب جماعة الدولة الإسلامية... إن هذا الاقتراح من «بترايوس» دليل فشل وإفلاس وتخط الإدارة الأميركية في تحالفها الجديد القديم ... فمصطلح «المعتدلين» في قاموس الأميركي يساوي مصطلح الخائنين لدينهم وأمتهم في قاموسنا! فنحن نقوم بضرب أي مشروع تتبناه أميركا، فكيف بها تريد أن يقوم بعض جنودنا بذلك؟» إلا أن الشامي أكد ضمناً وجود من يؤيد هذا الطرح ضمن تياره لكنه أنكر أن يكون ممثلاً للجماعة بقوله «رغم خروج بعض التغريدات التي لا تعبر عن فكر الجماعة وتوجهها من قبل البعض، بحيث لا تمثل إلا قائلها، عداوتنا مع جماعة الدولة نظراً لتلبسها ببدعة «الخوارج» ولأسباب أخرى كثيرة، لا يعني بحال دخولنا مع أميركا ضدهم، ولا مجرد التفكير في ذلك.»
الوعي: تصريح بترايوس هذا يحمل من الخبث ما يريد به صاحبه أن يوقع بين أطراف النصرة نفسها! □

خبراء أوروبيون: اللاجئون يمثلون فرصة ذهبية لإنقاذ اقتصادنا

نشر موقع سلايت، الناطق بالفرنسية، تقريراً حول ملف اللاجئين المتدفقين على الدول الأوروبية، مستعرضة الإيجابيات التي يمكن أن تطل الاقتصادات الأوروبية بفضل هؤلاء اللاجئين، وذلك في مقابل ما وصفته بـ«مخاوف كبرى الدول من تأثير اللاجئين على هويتها وثقافتها وأسلوب عيشها». وقال الموقع في هذا التقرير، الذي ترجمته «عربي ٢١»، إن الخبراء الاقتصاديين لم يسبق لهم أن أجمعوا على نقطة ما، مثلما فعلوا فيما يتعلق بإيجابيات وفود اللاجئين، حيث يرى أغلبهم أن حرية تنقل الأفراد لا تضر بثروة بلد ما، بل على العكس تماماً، من شأن ذلك أن يخلق المزيد من مواطن الشغل. وأضاف التقرير أن الدراسات الاقتصادية تدحض ادعاءات مناهضي الهجرة، من قبيل استحواذ المهاجرين على وظائف المواطنين، أو إخلالهم بمنظومة الضمان الاجتماعي، مشيرة إلى أن السبب الحقيقي لهذه المخاوف هو الخوف من إمكانية اهتزاز الهوية الثقافية والقومية والدينية لدولة ما. وفي السياق ذاته، أشار الموقع إلى غياب رؤية واضحة واستراتيجية بعيدة المدى، لدى بعض الأحزاب والحكومات الأوروبية؛ حيث يفضل هؤلاء اتباع الرأي العام، وهو ما يفسر عجزهم أمام التعاطي مع موجات المهاجرين التي تضاعفت هذا الصيف.. □

الأمم المتحدة: ارتفاع أعداد القتلى المتدفقين إلى سوريا بشكل مهول

ذكر آخر تقرير صدر عن الأمم المتحدة حسبما أورد موقع روسيا اليوم أن نسبة المسلحين الملتحقين بالتنظيمات المسلحة ارتفع خلال السنوات الثلاث الأخيرة بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلاً، فأعداد الذين غادروا أوطانهم للالتحاق بصوف تنظيمي الدولة

والنصرة في العراق وسوريا ودول أخرى، وصل إلى أكثر من ٢٥ ألف مسلح، قدموا من أكثر من ١٠٠ دولة بحسب المنظمة الأممية. وأفاد التقرير الذي أعدته لجنة مراقبة نشاط تنظيم القاعدة التابعة لمجلس الأمن الدولي، بأن عدد المسلحين الأجانب ارتفع في الفترة ما بين منتصف العام الماضي ومارس/آذار الأخير إلى ما يقارب ٧١ بالمئة. وأشارت اللجنة إلى أن السواد الأعظم من هؤلاء المسلحين يأتون من تونس، والمغرب، وفرنسا، وروسيا، كما أن هناك ارتفاعاً في وتيرة القادمين من المالديف وفنلندا وترينيداد وتابغو.

الوعمي: لماذا يكون التركيز دائماً على أعداد المقاتلين الذين ينفرون لقتال طاغية دمشق، فيما يخضون الطرف عن تلك الحشود التي تأتي لدعم نظام الأسد من لبنان والعراق وإيران وأفغانستان وغيرها؟! □

عجز كبير في ميزانية السعودية جراء انخفاض أسعار النفط

اعترف إبراهيم العساف وزير المالية السعودي في حديث لمحطة "سي إن بي سي" الاقتصادية العربية أن بلاده ستخفف الانفاق العام، كما ستصدر المزيد من السندات لسد العجز القياسي في الميزانية العامة، الذي يقدر بحوالي ١٣٠ مليار دولار، وهو اعتراف يعكس الصعوبات التي ستواجهها المملكة ودول عربية نفطية أخرى في السنوات المقبلة إذا ما استمرت أسعار النفط في الانخفاض. في هذا الصدد يلاحظ أن جميع الدول التي تعتمد على عوائد صادرات النفط في وضع ميزانياتها السنوية تواجه عجوزات ضخمة في ميزانياتها، وليس السعودية وحدها، ولكن الفارق أن الأخيرة، اي السعودية، تشكل العوائد النفطية أكثر من ٩٠ بالمئة من ناتجها المحلي. وكانت ميزانية عام ٢٠١٥م السعودية واحدة من أضخم الميزانيات في تاريخ المملكة، إذا لم تكن أضخمها، حيث وصل حجمها حوالي ٨٥٥ مليار دولار (٢٢٧ مليار دولار) وجاء العجز بسبب تقديرات لأسعار النفط في حدود ٦٣ دولار للبرميل.. □

أميركا تنصح أسر عسكريها في تركيا بمغادرة البلاد

نصحت الولايات المتحدة أسر عسكريها ودبلوماسيها العاملين في المناطق الجنوبية من تركيا بمغادرة البلاد، فيما تصعد من جهودها في محاربة تنظيم «الدولة الإسلامية». ويقول مسؤولون أميركيون إن القرار الذي يمس ٩٠٠ من أفراد أسر العسكريين العاملين في قاعدة إنجريك الجوية إضافة إلى الموظفين القنصليين في مدينة أدنه المجاورة. وجاء الإعلان المشترك من وزارتي الدفاع والخارجية بعد أيام فقط من بدء الطيران الحربي التركي بالمشاركة في الغارات ضد مواقع التنظيم في سوريا. □

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿٧٦﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿٧٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ عَنَّا كُرْهًا ثُمَّ لَقَدْ نَبَّأْنَا أَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ كَانُوا إِذْ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَقُوا لَئِن لَّمْ يَظْهَرِ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَلَىٰ غُرْبَةٍ لَّذَلَّتْ أَبْصَارُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ الَّتِي نَقَبُوا فَتَخَسَفْوا عَنْهُمْ فَرَغُوا مِنَّا فَمَا كُنَّا نَنظُرُهُمْ كَنظَرِهِمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾



جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه

عطاء بن خلیل أبو الراسه

أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

يبين الله سبحانه في هذه الآيات ما يلي:

١. إن من الناس من يجعل مع الله شركاء وأمثالا له سبحانه، يسوون بينهم وبين الله، ويحبونهم كحب الله، ولكنه الحب المبني على غير هدى، فلا يسمو إلى حب المؤمنين لله لأن أساسه على تقوى من الله وإيمان، فحب المؤمنين لله هو الأشد الأشد الذي تطمئن به القلوب وتدخل به الجنة ورضوان من الله أكبر.

ولكن أولئك المتخذين من دون الله أندادا والمسوئينهم بالله فإن مصيرهم عذاب أليم يوم القيامة، وعندها يتبينون أن الله هو القوي والقوي وحده فلا قوة غيره، وأن عذابه للظالمين شديد أليم، وأن الذين زعموهم أندادا لله هم مخلوقات لا حول لهم ولا قوة ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُم يَبْصُرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُم جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يس/ آية ٧٤-٧٥. ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ﴾ ﴿ لَوْ ...إِذْ ﴾ تختصان بالماضي وهنا وردتا مع المضارع وذلك لتحقيق أمرين معاً:

- المضارع لإفادة المستقبل لأن الموضوع يتعلق برؤيتهم يوم القيامة.
- والماضي للدلالة على قطعية تحققه في علم الله فكأنه حدث في الماضي وانتهى أمره. وجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف للدلالة على أنه أمر عظيم يكاد لا يوصف، أي لو رأوا ما أُعِدَّ لهم من عذاب يوم القيامة وأهوالها لوقعوا في الحسرة والندامة بما لا يكاد يوصف من حال ومآل. واستعمال ﴿ لَوْ ﴾ و﴿ إِذْ ﴾ و(حذف الجواب) في السياق المذكور قوة في البلاغة والبيان ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت/ آية ٤٢.

﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ ﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ يدخل فيها ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ وإنما في إعادة ذكرها وعطفها مبالغة في تهويل الخطب وأن لا عفو عليهم يوم القيامة، حيث إنَّ ﴿ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفواً من الله سبحانه مع القدرة عليه،

فذكر الله سبحانه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ معطوفاً عليه لإزالة أي أمل عندهم في عفو الله عنهم.

٢. في ذلك الموقف العظيم ومشاهدة العذاب الأليم وأن القوة لله جميعاً تكشف حقائق الأمور:

أ. تبلغ الحسرة والندم مبلغاً عظيماً عند أولئك الذين اتخذوا من دون الله أمثالاً آلهة - أصناماً

وغير أصنام - عندما يرون أن أولئك الأنداد لا حول لهم ولا قوة وأن العذاب يحيط بهم من كل مكان.

ب. وتزيد حسرتهم وندمهم وألمهم عندما يرون رؤساءهم الذين اتبعوهم وقادوهم إلى تلك

المهالك، يتبرءون منهم فالموقف عظيم والعذاب أليم لا يترك مجالاً للرؤساء أن يعترفوا بالاتباع،

فالكُل مشغول بنفسه وكلٌ روابط الاتصال بين الأتباع والمتبوعين تنقطع وكأنها لم تكن.

ج. ثم تزيد الحسرة والألم عند هؤلاء الأتباع عندما يتبين لهم أنهم لا يستطيعون الخروج

من النار والرجوع إلى الدنيا لينتقموا من المتبوعين فيتبرءوا منهم كما تبرأ أولئك منهم في الآخرة،

وعندها يرون عظم سوء صنيعهم باتباعهم أولئك الرؤساء الذين قادوهم إلى المهالك ويتبين لهم

أن أعمالهم السيئة تلك التي اقتصروا انقياداً لرؤسائهم قد انقلبت حشرات عليهم يتبوءون من

خلالها مقاعدهم في جهنم وبئس المصير.

٣. منطوق هذه الآيات متعلق بأولئك الذين اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله،

ووصفهم الله سبحانه بالظالمين لأنهم جعلوا مخلوقات الله في مرتبة الخالق ووضعوا الأمر في غير

محلّه وكانوا بذلك من الظالمين.

وَبَيَّنَتْ هذه الآيات عاقبتهم، وكيف يتبرأ رؤساؤهم منهم عندما يرون العذاب وأن القوة لله

جميعاً، ولكن منطوق هذه الآيات لم يتطرق لمدى العذاب والخزي الذي يصيب أولئك الرؤساء

الذين زينوا السوء لاتباعهم.

غير أن هذا المنطوق له مفهوم موافقة من قبيل التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإن تلك العاقبة الوخيمة

التي أعدها الله للاتباع تدلّ على عظم المصير المظلم للذين قادوا الأتباع إلى الجحيم، فعذابهم أشد

ومصيرهم أدهى وأمر، وهكذا شأن القادة الطغاة يقودون أتباعهم إلى الهلاك ولكنهم يسبقونهم

إليه يوم القيامة كفرعون يقود قومه إلى النار ﴿إِنِّي فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيهِۦ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ

بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾ يَاقَوْمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدْهُمْ النَّارَ وَبئس الأورد المورود ﴿١٨﴾ ﴿هود/آية ٩٧-٩٨.

إلا أن التركيز في هذه الآيات على الأتباع هو لحكمة عظيمة، فهو لإزالة ما قد يتوهمه بعض

الأتباع أن لا إثم عليهم بل على رؤسائهم وقادتهم، فبينت الآيات أن الإثم واقع على الأتباع كذلك،

وأنهم في زمرتهم في نار جهنم وبئس المصير.

والآيات بيان من الله لأولئك التابعين في الدنيا لرؤوس الكفر بأن هؤلاء الرؤوس سيقودونهم إلى

الهاوية وسيتبرءون منهم يوم القيامة ولن يحملوا من أوزارهم شيئاً بل يوردونهم النار وبئس القرار. □

بسم الله الرحمن الرحيم

أهل النار

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، يَنْتَعِلُ بِتَعْلَيْنِ مِنَ نَارٍ ، يَغْلِي دِمَاغَهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ» رواه مسلم.

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَانَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أَدْخَلَكَ النَّارَ - فَأَيَّبْتُ إِلَّا الشُّرْكَ» رواه مسلم.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي حَدِيثِ الرَّوْبِيَةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ» متفق عليه.

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَيْبِكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرَجَ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تَسَعُ مِائَةٌ وَتَسَعَةٌ وَتَسْعِينَ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا» متفق عليه.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الثَّمَنِ أَنْ يَنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» رواه مسلم. □

بَعْدَ الْخِلَافَةِ لَا عَدْلٌ وَلَا قِيَمٌ

أبو خليل عبد الستار حسن

بَعْدَ الْخِلَافَةِ لَا عَدْلٌ وَلَا قِيَمٌ
عَدَاً تُطِلُّ فِيهَا الْعُرْبُ وَالْعَجَمُ
جَوْرٌ وَقَهْرٌ وَإِفْسَادٌ لَهُ حَدَمٌ
وَالْحِقْدُ مُلْتَهَبٌ وَالْحُبُّ يَنْهَدِمُ
الذُّلُّ سَيِّدُنَا وَالْقَهْرُ وَالْعَدَمُ
تَبِكِي الشَّامَ فَأَيْنَ الْحِسُّ وَالْأَلَمُ
مِمَّنْ دَعَاهُمْ إِلَهُ الْكَوْنِ فَاعْتَمُوا
عَائَتْ يَهُودٌ فَأَيْنَ الرُّدُّ وَالْحِمَمُ
إِخْوَانٌ قَرِدٌ لَهُمْ أَمْرٌ وَمُحْتَكَمُ
وَالْعُرْبُ فِي دِعَاةٍ وَالظَّنُّ أَنْ سَلِمُوا
خَابُوا إِذَا فَعَلُوا عُنَاثَهُمْ عَقَمُ
جُنْدُ الْخِلَافَةِ مَا زَلَّتْ بِهِمْ قَدَمُ
وَاللَّهُ أَكْرَمُهُ وَالسَّيْفُ وَالْقَلَمُ
عَزَّ الْخِلَافُ، عَلَامَ النَّاسِ تَخْتَصِمُ؟

حَلَّ الظَّلَامُ وَذَاقَتْ بِأَسْهَا الْأُمَمُ
شَمْسُ الزَّمَانِ أَتَاهَا الْغَيْمُ فَاحْتَجَبَتْ
شَمْسُ الْعَدَالَةِ قَدْ غَابَتْ فَأَعْقَبَهَا
الْكَوْنُ يَهْوِي وَعَيْنُ الْحَقِّ بَاكِئَةٌ
أَيَّ ذَهَبَتْ فَقَدْ هَانَتْ كَرَامَتُنَا
هَرْجٌ وَمَرْجٌ وَظَلَمٌ لَا مَثِيلَ لَهُ
هَذَا الشَّامُ فَمَنْ أَوْلَى بِنُصْرَتِهَا
وَالْقُدْسُ نَامَتْ عُيُونُ الزَّاحِفِينَ لَهَا
عَرَضُ الْخَلِيقَةِ قَدْ أَفْضَى إِلَى سَلْبِ
هَدْمٌ وَقَضْمٌ وَتَجْوِيعٌ وَمُعْتَقَلٌ
خَابُوا إِذَا سَكْتُوا خَابُوا إِذَا نَطَقُوا
يَا قُدْسُ صَبْرًا فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُنَا
عَادَ الْخَلِيفَةُ وَالدُّنْيَا تُوقِّرُهُ
وَالْكُلُّ يَنْعَمُ فِي عِزٍّ وَفِي سَعَةٍ

الْعَدْلُ مُنْتَصِرٌ وَالْحَقُّ مُنْتَصِرٌ
 عَادَ الْجِهَادُ وَعَادَ الْعِزُّ وَانْطَلَقَتْ
 إِنَّ الرِّجَالَ لِعَهْدِ اللَّهِ قَدْ عَقَدُوا
 ذَا فَازَ مُسْتَشْهِدًا ذَا فَازَ مُنْتَصِرًا
 النَّاسُ فِي ضَنْكَ تَبْغِي مُخَلَّصَهَا
 لَا شَيْءَ يُخْرِجُهَا مِنْ غِيِّ سِيرَتِهَا
 إِنَّ الْخِلَافَةَ لِلدُّنْيَا مُخَلَّصَةٌ
 مَنْ رَامَ آخِرَةَ أَرَسَى مَعَالِمَهَا
 صُفُّوا النَّمَارِقَ قَدْ لَاحَتْ بِشَائِرُهَا
 أَنْ الْأَوَانُ أَبَا يَاسِينَ خُذْ دَمْنَا
 دُكُّوا الْحُصُونَ وَلَا تُبْقُوا لِطَاغِيَةِ
 أَحْفَادَ سَعِيدٍ أَلَا هُبُّوا وَلَا تَهْنُوا
 يَا أَهْلَ نُصْرَتِنَا يَا جُنْدَ أُمَّتِنَا
 حِزْبُ تَجَشَّمِ أَخْطَارًا وَتَضْحِيَّةً
 مَكِّيَّةً وَبَدَتْ آيَاتُ نُصْرَتِهَا
 مَجْدُ الزَّمَانِ أَتَاكُمْ مِنْ مَعَاقِدِهِ
 قَدْ بَارَكَ اللَّهُ مَنْ أَعْطَى بِلا كَلَلٍ
 اللَّهُ أَكْبَرُ وَالتَّحْرِيرُ رَائِدُنَا
 رُدُّوا الْخِلَافَةَ لَا تَنْسُوا فَضَائِلَهَا
 إِنَّ الْخِلَافَةَ فَرَضٌ فِي شَرِيعَتِنَا

وَالسَّهْلُ مُغْتَبِطٌ وَالتَّلُّ وَالْأَكْمُ
 كُلُّ الْجِيُوشِ بِبَابِ الْفَتْحِ تَزْدَجِمُ
 مَا بَدَّلُوا أَبْدًا وَالصَّدَقُ قَدْ لَزِمُوا
 أَوْ فَازَ مُنْتَظِرًا تَعَلُّو بِهِ الْهِمَمُ
 وَالْجَوْرُ أَنَهَكَهَا وَالْكَفْرُ وَالظُّلْمُ
 إِلَّا هُدَاهَا، فَهَلْ يَرْقَى بِهَا صَنْمٌ؟
 مِنْ كُلِّ مُوبِقَةٍ ضَاقَتْ بِهَا الْأُمَمُ
 أَوْ رَامَ دُنْيَا فَتَمَّ الْعَدْلُ مُلْتَزِمُ
 هَذَا عَطَاءٍ يَبُتُّ الْعِزَمَ فَاقْتَحِمُوا
 وَارَوْ الْعَقِيدَةَ أَنْتَ الْقَائِدُ الْعَلَمُ
 عِنْدَ الْعَدَاةِ جُرُوحًا تَمَّ تَلْتِمُ
 إِنَّ الْفَلَاحَ لِمَنْ قَامُوا بِمَا عَلِمُوا
 أَنْتُمْ بَوَاسِلُنَا أَنْتُمْ لَنَا قِمَمُ
 بَايَعُ أُخْيَ فَيْرِضَى الْعَدْلُ وَالْحَكْمُ
 تَأْبَى النِّفَاقَ قَلْبُوا الصَّوْتِ وَاغْتَنِمُوا
 وَاللَّهُ يَنْدُبُكُمْ وَالْعِزُّ وَالْكَرَمُ
 مَا الْمَجْدُ إِلَّا عَطَاءٌ دَائِمٌ وَدَمٌ
 حِزْبُ الْخِلَافَةِ، مَوْصُوفٌ لَهَا عَلَمُ
 بَعْدَ الْخِلَافَةِ لَا عِزُّ وَلَا نِعَمُ
 إِنَّ الْخِلَافَةَ وَعَدُّ لَيْسَ يَنْفَصِمُ □

ما سر سياسات ألمانيا المنفتحة تجاه اللاجئين السوريين؟

تفاجأ كثيرون بـ"الانقلاب المفاجئ" الذي حصل في أوروبا تجاه قضية اللاجئين لا سيما القادمين من سوريا. وأخذ كثيرون يتساءلون عن مغزى هذه الحالة المتعاطفة غير المألوفة. إنما بقليل من التمعن، يمكن إدراك أن الذي جرى هو نجاح واضح في فرض الحكومة الألمانية أجندتها على الجميع. وهي ليست انقلاباً بل سياسة اتبعتها منذ سنوات مع عدد آخر من الدول الأوروبية كالسويد والنرويج، وذلك لاحتياجاتهم الكبيرة لعمال في مختلف المهن لملء الشواغر الحالية والمتوقعة في المصانع والأراضي والبنية التحتية وفي خدمة العواجيز والمتقاعدين الذين باتوا يشكلون نسبة كبيرة من تلك المجتمعات.

فالععود العامودي للاقتصاد الألماني وحاجته إلى أيدي عاملة، إضافة إلى الضمور الديموغرافي في عدد السكان، وتطلعات ألمانيا للعب دور أكبر في أوروبا وربما في أماكن أخرى من العالم لاحقاً، جعلاً ألمانيا تعمل كقطب يفرض ما يرى أنه يحقق مصالحه. لذلك شرّعت أبوابها أمام اللاجئين السوريين منذ بداية الأزمة بصمت، وعندما تزايدت أعدادهم وبدأت دول أوروبية تتصدى لهم وتتأفف منهم، وقفت ألمانيا لهم بالمرصاد بشكل واضح وعلني وقامت بحملة مضادة أجمت الرأي العام الداخلي والخارجي وقلب الأمر رأساً على عقب، ووضع الدول المناوئة للهجرة واللجوء في وضع حرج أخلاقياً. إذاً هي استراتيجية ألمانية مبكرة، وليست وليدة لحظة معينة تعاطفاً مع مأساة السوريين، فالمتابع يجد أن ألمانيا تبنت مجموعة كبيرة من الإجراءات المتجانسة التي تؤكد سعيها للحصول على أكبر عدد ممكن من اللاجئين، حيث قامت بما يلي:

- جمّدت العمل باتفاقية دبلن، حيث أوقفت إجراءات ترحيل اللاجئين السوريين إلى الدول الآمنة التي سبق أن دخلوا إليها، وتركوا "بصمتهم" فيها.

- منحت من يصل إليها - في مدة قصيرة جداً نسبياً على نحو غير مألوف - حق الإقامة مع جواز سفر إضافة إلى تأمين كافة الحاجيات الأساسية من مسكن ومأكل وملبس وصحة وتعليم.

- أصدرت نداء إلى الشعب الألماني على لسان المستشار الألمانية أنجيلا ميركل تطالبه بالترحيب باللاجئين، فخرجوا ينتظرونهم بمحطات القطارات يقدمون لهم الطعام والشراب ويظهرون تعاطفهم معهم. بل وقامت بإرسال وسائل نقل (باصات وقطارات) لتقل اللاجئين العالقين في المجر إليها.

- أعلنت الحكومة الألمانية عن استعدادها لاستقبال حوالي ٨٠٠ ألف لاجئ ومهاجر العام الجاري إضافة لمن سبق استقبالهم، وهو عدد يزيد أربعة أضعاف عن العدد الذي استقبلته في العام الماضي.

- أجمت الرأي العام لصالح اللاجئين من خلال تسليط الأضواء الإعلامية على معاناة اللاجئين وإظهار معاناتهم، كغرق الطفل المسكين إيلان الكردي وعدد آخر من المهاجرين الذين تناثرت جثثهم على الشواطئ في رحلة الهروب من الحرب المدمرة في سوريا.

باختصار إن ألمانيا وبقية دول أوروبا هي دول رأسمالية تبني سياساتها على ما يحقق لها مصالحها، ولو كانت أوروبا مشفقة حقاً على اللاجئين والمهاجرين إليها من سوريا لفرضت حظراً جواً على نظام الأسد على نحو ما فعلت مع القذافي في ليبيا، لا سيما أن طائراتها تجوب سماء سوريا ليل نهار، كما كان يمكنها تسريب بضعة قاذفات لمن تصنفهم ضمن المعارضة المعتدلة لشل طائرات النظام التي تلقي البراميل المتفجرة على المدنيين الآمنين بدل ذرف الدموع الرخيصة على من يغرق منهم. لكنها سياسة الفرص والمصالح فقط. على صعيد آخر، فإن ألمانيا دولة طموحة، ولا يستبعد أن يكون لديها تطلعات للعب دور مؤثر في الشرق الأوسط في المستقبل، يكون فيه سوريا اليوم ألمانياو الغد أداة مهمة لدخول المنطقة، فكما قال بريجنسكي سابقاً "إن ألمانيا الصاعدة هي التي تستحق المراقبة والمتابعة بشأن طموحها وتطلعاتها، وليست الصين التي ينحصر همها في تحسين أوضاعها الاقتصادية" □

ملاحم اتفاق دولي حول سوريا

أعلنت بريطانيا عن شن هجمات جوية داخل سوريا دون الرجوع إلى برلمانها بذريعة حماية الأمن القومي البريطاني! وأعلنت فرنسا تنفيذ ضربات مشابهة ضد تنظيم الدولة هناك، كما تواترت الأنباء عن اقتحام روسيا المشهد بشكل مختلف عما سبق من خلال تأمين قوة عسكرية خاصة بها في سوريا، فضلاً عن دور الولايات المتحدة المشبوه منذ وقت طويل نسبياً في إطار ما يسمى بالتحالف الدولي لمحاربة الإرهاب. في ظل هذا التكالب العلني على سوريا، كشف الكاتب اللبناني سركيس نعوم في مقال له نشرته جريدة النهار البيروتية عن وجود ملاحم اتفاق أميركي - روسي - خليجي يفضي إلى انتقال سياسي في سوريا بعيداً عن بشار الأسد. ونقل نعوم عن عاملين في مركز أبحاث مهم -حسب تصنيفه-قولهم إن واشنطن قررت التخلي عن مقاربتها المحدودة التي شددت على أن الأولوية هي لمحاربة "تنظيم الدولة" والقضاء عليه، مقابل تبني سياسة أوسع تقضي بجمع الجهات المعنية بالتخلص من التنظيم المذكور ومساعدتها لمواجهته، وبتغيير ميزان القوى على الأرض في سوريا.

ويأتي هذا التغيير في الموقف الأميركي عقب الاجتماع المشترك الذي عقد في الدوحة بين وزراء خارجية كل من الولايات المتحدة، روسيا، والدول الخليجية. وذكر نعوم، أنه تم تسليم تركيا بموجب هذا الاتفاق مفاتيح الوضع شمال سوريا لتعمل على هيكلة الانتفاضة في تلك المنطقة، بموازاة زيادة دعمها للمعارضة السورية. في مقابل ذلك وافقت الدول العربية الداعمة للمعارضة على خفض سقف التفاوض الذي تمسكوا به، ما يعني -بحسب نعوم- الاعتراف لإيران وحزب الله بحصتهم في الحكومة المركزية المزمع تشكيلها في سوريا المستقبل. ووفقاً لمصادر نعوم، فإن محادثات الدوحة بين وزراء خارجية أميركا وروسيا ودول مجلس التعاون تركزت على النقاط التالية:

- 1- رفض سيناريو تقسيم سوريا لأنه لا يضمن أبداً إنهاء الحرب.
 - 2- تبني الشروط التي وضعها الموفد الخاص للأمن العام للأمم المتحدة ستيفان دي ميستورا وموسكو للمبادرة التي يفترض أن يتوصل الحوار الذي هو جزء منها إلى تسوية للأزمة في سوريا.
 - 3- العمل لرسم حدود غير رسمية لمناطق النفوذ في سوريا (العلويون والأقليات والغالبية المنقسمة منظمات وفصائل).
 - 4- التفاوض المنفصل مع كل من العرب السنة والإيرانيين لتحديد الوضع النهائي لمناطق النفوذ المذكورة أعلاه مع ترك الباب مفتوحاً أمام مفاوضات مباشرة لاحقاً (تفاوض على شيء قريب من "طائف" لبنان).
 - 5- إجراء انتخابات عامة في سوريا مع تفاهم مسبق على أن الأسد لن يترشح فيها، وأن الحكومة التي ستنتشق منها ستضم كل مكونات المجتمع السوري.
- الوعمي:** إن ما يجري في سوريا مفرج، حيث التشريد والتقتيل والتمزيق والتهجير سياسة ممنهجة محلياً وإقليمياً ودولياً، وما يقترح من حلول بشأن إنهاء الصراع الدموي الدائر فيها يؤكد مجدداً، أن الغرب لا يأبه بأية قيم أو حقوق أو أخلاق إنسانية، وأن أي حل يأتي من الغرب أو من أعوانه سيكون لنهش الأمة وتمزيقها، فمقتضى الاتفاق المذكور يعني تحويل سوريا إلى دولة هشة؛ لذلك كان لا بد من الحذر، كل الحذر، من السير في أي من مشاريع الغرب المطروحة ونبذها جميعاً. □